ترسيخ اليقين في قلوب المؤمنين

تأليف الدكتور
أبي الحسن علي بن محمد المطري آل المقحفي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية


شبكة
الألوكة


ترسيخ
اليقين
في قلوب المؤمنين





اسم الكتاب: ترسيخ اليقين في قلوب المؤمنين
إعداد الدكتور : أبي الحسن علي بن محمد المطري آل المقحفي
رقم الإيداع: ١٩٠٢٧ /٢٠٢٤
نوع الطباعة: ٢ لون
عدد الصفحات: ٨٠ صفحة
القياس: ١٧ x ٢٤

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. هاني صالح

٢٠٢٤

الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥





في قلوب المؤمنين

تأليف الدكتور

أبي الحسن علي بن محمد المطري آل المقحفي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين








بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله علّام الغيوب البصير بسرائر النيات وأسرار القلوب .

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلىٰ سبل النجاة فهو الرشيد، ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾[الأنعام : ٥٩] .

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ ﴾ [ق ١٦-١٧] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم.

هو حسبنا ونعم الوكيل ، لاحول ولا قوة إلابالله العلي العظيم.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير.

صلىٰ عليك الله يا علم الهدىٰ واستبشرت بقدومك الأيام هتفت لك الأرواح من أشواقها وازينـت بحديثك الأقلام امتدحه بقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران :١٥٩] .

اللهم إنا نسألك الإيمان واليقين والاستقامة وصدق التوكل عليك والثقة بك والالتجاء إليك .

اللهم إنا نسألك الصدق والأمانة والعفاف والحياء والشجاعة والكرم والوفاء والنزاهة عن كل حرام او مشبوه . وحسن الجوار. ومساعدة ذوي الحاجة

أللهم اهدنا لأحسن الأخلاق واصرف عنا سيئها ياذا الجلال والإكرام.

اللهم إنا نسألك علمآ نافعا ورزقا طيبا مباركا وعملا صالحا.

اللهم فرج همومنا ونفس كروبنا وتول أمرنا ياذا الجلال والإكرام.

أللهم إنا نسألك الهدي والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

أيها الاخوةَ الفضلاء :

جَرَتْ عَادَةُ المُحَدِّثِيْنَ في إجَازَاتِهم، بتَقْدِيْمِ حَدِيْث الرَّحْمة المُسَلْسَل بالأَوَّلِيَّةِ: «الرَّاحِمُوْنَ يَرْحَمُهُم الرَّحمَنُ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ؛ يَرْحَمْكُم مَنْ فِي السَّماءِ».

فإنِّي أَرْوِي حَدِيْثَ الرَّحْمةِ المُسَلْسَلِ بالأَوَّلِيَّةِ سَماعًا عَنْ مَشَايخي الأَفَاضِلِ: منهم لقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسند المتصل إلىٰ الإمام .

ابي عيسىٰ الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي قَابُوسَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ .

فكان المعلمون يروون هذا الحديث للطلاب في بداية الطلب حثا لهم



علىٰ التراحم (رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) .

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلعِ الدين وغلبة الرجال ، اللَّهُمَّ إِنَّا نعوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِك، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِك، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

إن العبد مفتقر إلىٰ يقين راسخ ؛ يثبت به إيمانه حينما تعصف به الشبهات والشهوات إلىٰ يقين راسخ يحمله علىٰ البذل والتضحية والعمل وإيثار ما عند الله علىٰ هذه الدنيا الفانية ثم تم تعريف اليقين لغة: العلم، وازاحة الشك، وتحقيق الأمر؛ فاليقين نقيض الشك والعلم تقيض الجهل تقول: علمته يقينا.

اليقين شرعا: طمأنينة القلب وثبات واستقرار العلم فيه .

وهذا اليقين ينتظم به أمران:

* علم القلب.
* عمل القلب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يحصل الايمان بالآخرة حتىٰ يطمئن القلب إلىٰ ما أخبر الله سبحانه به عنها طمأنينة إلىٰ الأمور التي لا يشك فيها ولا يرتاب،؛ فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر.

الفرق بين اليقين والتصديق:

ذكر بعض العلماء أن التصديق في حقيقته مبني علىٰ معلوم الإنسان؛ سواء أكان هذا المعلوم من قبيل الحق أم من قبيل الباطل، إلا أن الفرق بينه وبين اليقين:

* أن التصديق امر اختياري واليقين امر اضطراري يوجد في الانسان اذا وجد موجبه من غير اختيار .



* فإذا حصلت موجباته فانه يوجد في القلب،ويرسخ فيه ويثبت من غير اختيار.

* الفرق بين اليقين والثقة أن اليقين إذا وجد في القلب وجدت الثقة فيه كأنها ثمرته.

كان من دعاء النبي محمد -ﷺ- كما روىٰ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَقُومُ مِنْ مَجْلِس حَتَّىٰ يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَات لأَصْحَابِه : (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيك، وَمِنْ طَاعَتِك مَا تُبَلِّغُنَا بِه جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِه عَلَيْنَا مُصِيبَات الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا).

ثم كان الحديث عن أهمية اليقين : ان اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد ، خص الله سبحانه أهله بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الذاريات :٢٠] .

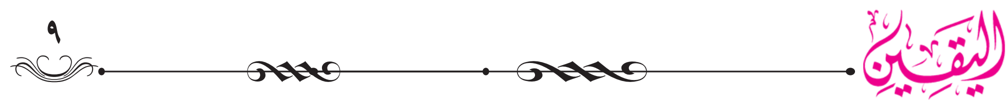
وخص أهل اليقين بالهدىٰ والفلاح من بين العالمين فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة :٤-٥] .

وأخبر عن أهل النار: انهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الجاثية :٣٢] .

جاء عن بعض السلف : الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ما طُلبت الجنة إلا باليقين، ولا هرب من النار إلا باليقين، ولا أديت الفرائض إلا باليقين، ولا صبر علىٰ الحق إلا باليقين).





اليقين من صفات أهل الإيمان قال تعالىٰ: ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

إنهم هم المنتفعون بالقرآن فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية :٢٠] .

إنها مرتبة علية يبلغها من يصطفي من عباده فيقول: وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ .

أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكر تصريفه للأمور وتفصيله للآيات؛ لغاية اليقين بالغيبيات كما في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد :٢] .

وعن أبي بكر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنه قام على المنبر ثم بكىٰ، فقال: قام فينا رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ أَوَّلَ عَلَىٰ المنبَرِ، ثُمَّ بَكَىٰ فَقَالَ: (سَلُوا اللهَ العَفوَ والعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَم يُعطَ بَعدَ اليَقِينِ خَيرًا مِنَ العَافِيَةِ) .

مراتب اليقين:

* علم اليقين . * عين اليقين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾[التكاثر : ٥-٧] .

* حق اليقين .

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الواقعة :٩٥] .

صفات أهل اليقين :

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « اليقين: هو العلم التام الذي ليس فيه أدنىٰ شك، الموجب للعمل » انتهىٰ من «تفسير السعدي» ص(٤٠).



وقال بعضهم « ظهور الشيء للقلب بحيث يصير نسبته إليه كنسبة المرئي إلىٰ العين فلا يبقىٰ معه شك ولا ريب أصلا وهذا نهاية الإيمان وهو مقام الإحسان » ينظر «مدارج السالكين»(٢/ ٣٩٩) .

فاليقين أرقىٰ درجات الإيمان، وأخص صفات أهل التقوىٰ والإحسان، قال تعالىٰ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⑤ ﴾ [لقمان: ٤-٥] .

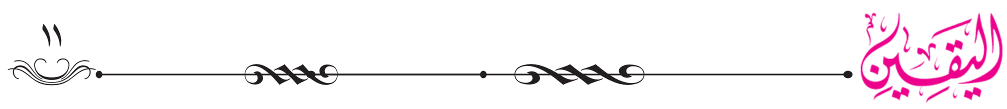
قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وهو مع المحبة ركنان للإيمان، وعليهما ينبني وبهما قوامه، وهما يُمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية، وعنهما تصدر، وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما تقوىٰ الأعمال، وجميع منازل السائرين إنما تُفتتح بالمحبة واليقين، وهما يثمران كل عمل صالح، وعلم نافع، وهدىٰ مستقيم» انتهىٰ من «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٧) .

واليقين علىٰ ثلاثة أوجه، ذكرها أبو بكر الوراق: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « يريد بيقين الخبر: سكون القلب إلىٰ خبر المخبِر، وتَوَثُّقُهُ به .

وبيقين الدلالة: ما هو فوقه، وهو أن يقيم له، مع وثوقه بصدقه: الأدلة الدالة علىٰ ما أخبر به، وهذا كعامة أخبار الإيمان والتوحيد والقرآن، فإنه سبحانه مع كونه أصدق الصادقين، يقيم لعباده الأدلة والأمثال والبراهين علىٰ صدق أخباره، فيحصل لهم اليقين من الوجهين: من جهة الخبر، ومن جهة الدليل .





فيرتفعون من ذلك إلىٰ الدرجة الثالثة، وهي يقين المكاشفة، بحيث يصير المخبَر به لقلوبهم، كالمرئي لعيونهم ؛ فنسبة الإيمان بالغيب حينئذ إلىٰ القلب: كنسبة المرئي إلىٰ العين .

وهذا أعلىٰ أنواع المكاشفة، وهي التي أشار إليها عامر بن عبد قيس في قوله: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . وليس هذا من كلام رسول الله ولا من قول علي كما يظنه من لا علم له بالمنقولات « انتهىٰ من «مدارج السالكين» (٢/ ٤٠٠) .

ثانيا :صفات أهل اليقين كثيرة، وينتظم في صفاتهم جميع الصفات المؤدية إلىٰ رضىٰ الرحمن، ولكن نذكر منها علىٰ سبيل المثال :

١- هو أن مصائب الدنيا عليهم: ولقد كان من دعاء النبي -ﷺ- : «اللهم قْسمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصائِبَ الدُّنْيَا، اللهم أَمْتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِىٰ دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا» أَخْرَجَهُ التِرمذي (٣٥٠٢) و«النَّسَائي» في عمل اليوم والليلة (٤٠٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وهوان المصيبة، والتحلي بالصبر تجاهها: يتفاوت علىٰ حسب تفاوت اليقين في القلوب، فأعظم الناس صبرا، هو أعظمهم يقينا، وكلما ترقىٰ العبد في مراتب اليقين ترقىٰ في مراتب الصبر، كما قال تعالىٰ ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم: ٦٠] .

٢- راحة النفس وطمأنينة القلب فيما يفوت من حظوظ الدنيا، ثقة بموعود الله، ورجاء العوض والخلف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .



٣ – قوة توكلهم علىٰ الله واستشعار معيته لهم: قال -ﷺ- لصاحبه في الغار أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد أحدقت بهم الأخطار: « ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا » .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة:٤٠] .

وقال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[الشعراء :٦١-٦٢] .

٤- كثرة إنفاقهم في سبيل الله ليقينهم التام بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الرزق ليس بيد أحد من البشر وإنما هو بيد الله تعالىٰ وحده، قال سبحانه: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات:٢٠-٢٣] .

٥- من سيماهم الخشوع والاستقامة : قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ما أيقن عبد بالجنة حق يقينها، إلا خشع ووجل وذل واستقام واقتصر حتىٰ يأتيه الموت» . ابن أبي الدنيا: اليقين ٩٧.

٦- من سيماهم: زهدهم في الدنيا وقصر أملهم فيها: فلا تتعلق نفس الموقن بها، ولا يتشبث بُحطامها، وإنما يكون زاهداً فيها؛ لأنه يعلم أنها ليست موطنًا له، ولأنه يعلم أنها دار ابتلاء، وأنه فيها كالمسافر يحتاج إلىٰ مثل زاد الراكب، ثم بعد ذلك يجتاز ويعبر إلىٰ دار المقام، فهو بحاجة إلىٰ أن يشمر إليها، وأن يعمل لها .



٧- من سيماهم عظيم انتفاعهم بآيات الله الكونية والشرعية، كما قال تعالىٰ ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . إلىٰ غير ذلك من أعمال البر والإحسان التي يزداد منها المؤمن بقدر يقينه .

ثالثا : سبيل تحصيل اليقين يحتاج إلى مقامين :

مقام الرسوخ في العلم النافع، بكثرة النظر والبحث فيه، والنظر في شواهده ودلائله الصحيحة .

ثم بذل الوسع في فعل المأمور، والمجاهدة والمصابرة عليه، واجتناب المنهي عنه، حتىٰ تتزكىٰ النفس، وتتخلص من حظوظها ويسلم القلب ويصفو ويزداد الإيمان حتىٰ يبلغ مرتبة اليقين .

وأعظم أبواب تحصيل اليقين: العناية بكلام رب العالمين، تلاوة، وتدبرا، وعلمًا، وعملاً .

قال محمد رشيد رضا : «وَاعْلَمْ أَنَّ قُوَّةَ الدِّينِ وَكَمَالَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ لَا يَحْصُلَانِ إِلَّا بِكَثْرَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَاسْتِمَاعِهِ، مَعَ التَّدَبُّرِ بِنِيَّةِ الِاهْتِدَاءِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِأَمْرِه وَنَهْيِه.
فَالْإِيمَانُ الْإِذْعَانِيُّ الصَّحِيحُ: يَزْدَادُ وَيَقْوَىٰ وَيَنْمَىٰ، وَتَتَرَتَّبُ عَلَيْه آثَارُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَة، وَتَرْكُ الْمَعَاصِي وَالْفَسَاد بِقَدْرِ تَدَبُّرِ الْقُرْآن، وَيَنْقُصُ وَيَضْعُفُ عَلَىٰ هَذه النِّسْبَة مَنْ تَرَكَ تَدَبُّرَهُ، وَمَا آمَنَ أَكْثَرُ الْعَرَب إِلَّا بِسَمَاعه وَفَهْمه، وَلَا فَتَحُوا الْأَقْطَارَ، وَمَصَّرُوا الْأَمْصَارَ، وَاتَّسَعَ عُمْرَانُهُمْ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُمْ، إِلَّا بِتَأْثِيرِ هِدَايَته » انتهىٰ من «تفسير المنار» (٩/ ٤٦٣) .

أتعرف ما معنى اليقين بالله؟ :

اليقين بالله هو الذي يحقق المستحيل، اليقين بالله هو أن تكون كل الأبواب مُغلقة وكل الظروف صعبة وكل المؤشّرات توحي بعكس ما تتمناه

لكنك علىٰ يقين بأنَّ الله سيصلح كل شيء وسيتكفَّل بكل شيء.

استحضار اليقين عند الدعاء:

اليقين من أسباب استجابة الدعاء من شروط الدعاء المستجاب أن يكون الداعي صادقا في توجهه إلىٰ الله تعالىٰ بأن يتيقن بأن الله تعالىٰ يجيب الداعي إذا دعاه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: (ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ١٤١).

والمسلم في دعائه يعلم أنه يتعبد الله تعالىٰ بذلك الدعاء، فالدعاء عبادة.

عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ -ﷺ-، قَالَ: (الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ. وَقَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠]، رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٩٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

وقال النبي -ﷺ- في الحديث الذي رواه أهل السُّنَن أبو داود وغيره: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)، ثم قرأ قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين: ﴿ ادْعُونِي ﴾ أي اعبدوني وأطيعوا أمري؛ أستجب دعاءكم.



وقيل: « سلوني أعطكم، وكلا المعنيين حق» انتهىٰ من «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢ / ٣١٣).

فينبغي للمسلم أن يكثر من دعاء الله تعالىٰ، ويلح فيه، لا أن يدعو مرة أو مرتين ثم يهجر الدعاء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ-، قَالَ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ ! اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ الله لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) واللفظ له.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : « ومعنىٰ قوله (وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ) أي يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه » انتهىٰ من « فتح الباري « (١١/ ١٤٠).

والمسلم يدعو علىٰ طمع، وحسن ظن بأن الله تعالىٰ سيستجيب له، إلا أن هذه الاستجابة علىٰ أنواع ثلاثة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه، وقد ورد في ذلك حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبادة بن الصامت رفعه: (مَا عَلَىٰ الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا). ولأحمد من حديث أبي هريرة: (إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ). وله في حديث أبي سعيد رفعه: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا) وصححه الحاكم « انتهىٰ من «فتح الباري» (١١/ ٩٥-٩٦).

والعلاج في مثل مسألتك ليس بواجب فيجوز للمسلم أن يصدق في توكله علىٰ الله تعالىٰ ويكتفي بالدعاء..





ثانيا: استجابة دعاء المذنب العاصي:

على جميع المسلمين أن يتوجهوا إلى الله تعالى بالدعاء مع اليقين بالإجابة، مهما كانت ذنوبهم، فهم كلهم داخلون في خطاب الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦] .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه، طمعًا في قبولها، وخوفًا من ردها، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبته نفسه، ونزل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافل لاهٍ. » انتهى من «تفسير السعدي» (ص ٢٩٢).

فالله تعالى قد يجيب المذنب والكافر فكلهم عباده وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربهم يتولاهم بنعمه.

قال الله تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت:٦٥-٦٦] .

وقال الله تعالى عنهم أيضا: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء : ٦٧] .

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل : ٦٢] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه،والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللَّجاء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عمّا سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، وجد من مؤمن



أو كافر، طائع أو فاجر...» انتهىٰ من «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :«والخلق كلهم يسألون الله مؤمنهم وكافرهم، وقد يجيب الله دعاء الكفار فإن الكفار يسألون الله الرزق فيرزقهم ويسقيهم، وإذا مسهم الضر في البحر ضل من يدعون إلا إياه، فلما نجاهم إلىٰ البر أعرضوا وكان الإنسان كفورا » انتهىٰ من «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٢٠٦).

وإجابة الله لعموم الخلق، مؤمنهم وكافرهم، مردها إلىٰ مشيئة رب العالمين، فإنها من الرزق، والله يرزق من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء.

اليقين بالله يحقق المستحيل

حُسن الظن بالله تعالىٰ؛ هو قوة اليقين والايمان بما وعد الله تعالىٰ عباده من سعة كرمه ورحمته، ورجاء حصول ذلك.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: « يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» رواه البخاري ومسلم .

ربما قد نملك هذا اليقين، لكنه تائه وسط الكثير من الأفكار والمشاعر، وأسيراً للخوف لا نعلم قوة هذا العملاق المحبوس علىٰ نفوسنا، ويكون اليقين الحقيقي بالله تعالىٰ وبعظمته وقدرته.

تخيل لو أن معنا ريموت سحري نفتح به كل الأبواب المغلقة، نفتح به أبواب الرزق الواسعة، ونغلق به أبواب المرض، ونفتح به كل أبواب أحلامنا في الحياة .

لله المثل الأعلىٰ يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض، فكل أحلامنا أمنياتنا بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورىٰ:١٢] .أي عنده مفاتيح كل شيء ومفاتيح كل الأبواب المغلقة في حياتنا.

اليقين يصنع المعجزات والقصص من القرآن كثيرة ونركز فيها حسن الظن بالله وقوة الدعاء ومنها علىٰ سبيل المثال قصة سيدنا موسىٰ إنه لما علم أن فرعون يتبعهم وقالوا المؤمنون الذين معه ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ لم يتردد موسىٰ في النفي وبسرعة قال كلا.. قالها موسىٰ بقلبه ويقينه ولسانه موسىٰ لم يشك لحظة في نصر الله له .. وفي تأييد الله له.. هو لا يعلم بالضبط كيف ستكون صورة النجاة في هذا لموقف الذي انتهت فيه كل الأسباب؛ فالعقل يقول ما هي إلا لحظات بسيطة ويموتون جميعا فالعدو خلفهم والبحر أمامهم لكن يقين موسىٰ في نصر الله يجعله يرىٰ النصر ويتذكر أن النصر لن يكون إلا بسبب معية الله لا غير.. فيقول: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾.. عندما ضرب العصا بالبحر بقوة يقينه بالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بأن الله سوف ينجيه ويفرق الله عَزَّ وَجَلَّ البحر بينة وبين قوم فرعون ويغرق الظالمون، هذا هو اليقين بالله.

واليقين بالله حين أُلقي إبراهيم في النار، فقال بعزة الواثق بالله « حسبنا الله ونعم الوكيل « فأتىٰ الأمر الإلهي » ﴿ يانار كوني برداً وسلامـاً علىٰ إبراهيم ﴾ الرضا بما كتبه الله والتأكد من أقدار الله كلها خير، فهي من صفات المؤمن الحق، لأن علاقة العبد بربه من أجمل وأهم الأمور في هذه الحياة، فالغاية من هذه الحياة هي عبادة الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بما يرضيه.

وقد تجسد اليقين في سيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يقوم بصنع السفينة فوق الرمال، حيث كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، ويتمثل اليقين أيضـاً في نبينا عليه افضل الصلاة والسلام عندما كان مختبئـاً في الغار مع الصدّيق رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، فلما مر عليهم المشركون قال الصدّيق للنبي -ﷺ-، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وهنا يظهر يقين النبي -ﷺ- فيقول له، يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا.

ويقين سيدنا يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بالرغم من الحزن والألم الذي كان يعتصر

قلبه، إلا أنه كان علىٰ يقين بأن الله سيرد له ابنيه يوسف وبنيامين، لقوله تعالىٰ: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ سيّدنا يعقوب -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- لم ييأس ولم يستسلم لخبر فقدان ابنه يوسف، بل علم يقيناً أنّه سوف يراه ويلتقيه مجدداً لذلك ظلّ يحثّ أبناءه علىٰ تحسّس خبر يوسف وأخيه بنيامين لإيمانه بوعد الله.

وفي اليقين بالله يتحقق المستحيل وتستجاب الدعوات وهذه القصة لِشيخ كبير في السن كان له بنات، ولم يستطع تركهم ويذهب لقضاء فريضة الحج، فقالت له ابنته الكبرىٰ أن يحج و يوكل أمرهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ولن يُضيعهم ابدًا، فأخذ الأب بنصيحة ابنته وذهب لقضاء فريضة الحج.

ولما جن عليهم المساء امسىٰ اخوتها يتضاغون من الجوع، فسألت الفتاة الله عَزَّوَجَلَّ وتوسلت إليه ألا يفضحها، فإذا بملك يمر من أمام بيتها وقد بلغ من العطش مبلغه، فطلب الماء من الجنود، فجلبوا إليه الماء لكي يشرب، وبعد أن شرب نظر إلىٰ بيتهم وعرف مابهم من حاجة وفقر، فأعطاهم سترة مليئة بالمال، فقالت الفتاة المؤمنة بالله حق اليقين هذا عبد نظر إلينا فاغتنينا.

أجمل ما قيل في اليقين، فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة «ابن رجب».

ومن أعظم ما يقوي اليقين ويثبت العبد عليه بعد قراءة و تدبر آيات القرآن: النظر والتفكر في آيات الله الكونية ومخلوقاته العظيمة، في السماوات والنجوم والكواكب، والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وحيوانات ونحو ذلك، وتأمل تدبير الله لذلك كله ومعرفة عظمة الله تعالىٰ وعظيم قدرته .





يامن تقرأ لي ولك: اصنع معجزاتك، فزمن المعجزات لا ينتهي، أيقن أن ما تسأل الله به بيقين يأتيك في الوقت المناسب لك.

الثقة بالله في تفريج الكربات تكون الثقة بالله من خلال اليقين التام في تفريج المحن والكربات، فالحياة مليئة بالهموم والمشاكل التي لا يعلمها إلّا الله جل في علاه، فإن صفت الحياة يومًا كدرت أيامًا وتنغصت، وإن أضحكتنا الحياة ساعة فإنها تبكينا أيامًا، وهكذا فالحياة متقلبة، ولا تدوم علىٰ حال واحد، وكلنا يعلم أن هذه البلايا لا يزيلها إلّا الله، ولذلك فالمسلم علىٰ ثقة دائمة بربه أنه لا بد من أن يأتي يوم تنتهي فيه كل الكروب والمشاكل، وتفرج الهموم بعد الضيق والشدة، ثق بالله دائما وأحسن الظن بعظمته وقدرته، إنه العظيم القادر القدير المقتدر .

إن كانت لك حاجة معينة حققها باليقين بأن الله لا يعجزه شي أبداً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وإن دخل الشك في قلبك ولو بمثقال ذرة انتفىٰ اليقين وفسد.

مفهوم اليقين في القرآن الكريم :

مفهوم اليقين ، يعرف اليقين بأنه زوال الشك، وانعدامه فهو العلم المستقر الذي لا يتغير ولا يتحول في القلب ومنه القاعدة .

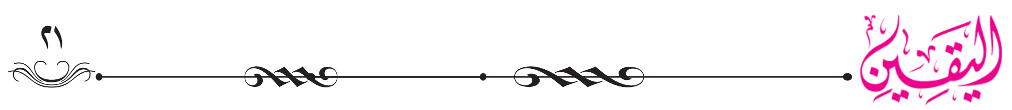
معنىٰ القاعدة: بعد حصول اليقين في أمر لا ينظر إلىٰ الشك الطارئ؛ لأنه لا يزول إلا بيقين مثله.

دليلها:

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[يونس: ٣٦].

قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾[البقرة: ٤- ٥].





٢- كلمة اليقين في القرآن الكريم وردت كلمة اليقن وصيغها في القرآن الكريم (٢٨) مرة. والصيغ التي وردت هي:

-الفعل الماضي ورد مرة واحدة .

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤].

-الفعل المضارع ورد ١٣ مرة،قال تعالىٰ: ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[البقرة :٤].

-اسم الفاعل ورد ٦ مرات .

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام:٧٥].

-الصفة المشبهة ورد ٨ مرات .

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٩] .

وجاءت كلمة اليقين في الاستعمال القرآني علىٰ خمسة أوجه:

١- التصديق: قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة:٤] . أي: بالبعث يصدقون.

٢- الصدق: قال الله تعالىٰ:﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[النمل:٢٢] .
أي: بخبر صدق.

٣- المشاهدة والعيان: قال الله تعالىٰ :﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ التكاثر:٥ أي: علم العيان.

٤- الموت: قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩] ، يعني: الموت.

٥- العلم المتيقن: عن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

قال الله تعالىٰ:﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ



لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء: ١٥٧].

أي: وما قتلوه علمًا.

٣- صفات أهل اليقين: يتصف أهل اليقين بالعديد من الصفات، فهم

١- الذين يؤمنون بالغيب: قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٤] .

فأهل اليقين يؤمنون بالبعث والجزاء والحساب والجنة والنار .

٢- الذين يوقنون بأن الرزق بيد الله وحده: قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات ٢٠-٢٢] .

٣- الذين لا يزيغون عن الحق ولا تتشابه عليهم الأمور: قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[البقرة ١١٨].

فأهل اليقين الحق عندهم واضح ، لذا فهم لا يراءون ولا ينافقون.

٤- الذين يحكمون شرع الله تعالىٰ: قَال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة ٥٠].

وأهل اليقين يحكمون شرع الله تعالىٰ في جميع أمورهم ، فلا يحكمون الهوىٰ ولا الطاغوت.

٥- الذين يؤمنون بالقرآن الكريم: قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة ٢٤].

فأهل اليقين يدورون مع القرآن حيث دار يتخلقون بأخلاقه ويقفون عند حدوده.



٦- الذين يؤمنون بآيات الله وإعجازه في كونه: قَال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الجاثية ٣-٤] .

فمن صفات أهل اليقين أنهم يتفكرون في ملكوت الله ويرون إعجاز الله في خلقه .

٧- وعن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنعام٧٥] .

٨- الذين يؤمنون بالموت والحساب: قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[النمل٣] .

فأهل اليقين حينما يؤمنون بالموت والحساب فإنهم يستعدون لذلك بالأعمال الصالحة ويوقنون تماما أنهم مقبلون علىٰ رب يحاسب علىٰ الصغيرة والكبيرة .

قَالَ تعالىٰ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٩] .

واستمِرَّ في عبادة ربك مدة حياتك حتىٰ يأتيك اليقين، وهو الموت.

٩- الذين يؤمنون حقَّ الإيمان: قَال الله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة٢٤].

٤ – مكانة اليقين: أن لليقين مكانة كبيرة فاليقين هو لب الدين ومقصودة الأعظم. ويزيد العبد خضوعًا واستكانة لمولاه. كما يضع صاحبه دائمًا في موضع الإخلاص والصدق. ضابط قوي يرقب العلاقة بين المسلم وربه، ويجعلها تلتزم خط السلامة والأمان حتىٰ يصل إلىٰ دار الرضوان . و لمكانة اليقين ومنزلته فقد خصَّ الله تعالىٰ أهله، بالاتي :

- بانتفاعهم بالآيات والبراهين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الذاريات: ٢٠].

- بالهدىٰ والفلاح من بين العالمين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[البقرة: ٤ – ٥].

- وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الجاثية٣٢].

٥- مقامات اليقين: المتأمل في القرآن يجد أن لليقين ثلاثة مقامات تحدث عنها القرآن، وهي:

الأولىٰ: علم اليقين: هو العلم بالشيء من مصدر ثقةٍ دون أدنىٰ شكٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾[التكاثر– ٥].

الثانية: عين اليقين: هو رؤية ما أخبر به الشخص بأم عينه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾[التكاثر– ٧].

الثالثة: حق اليقين: هو التمتع بالشيء الذي أخبر عنه وتجربته بنفسه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾[الواقعة: ٧٤].

وتترتب هذه الثلاثة من الأقل للأعلىٰ درجةٍ وهذا الترتيب هو: أولاً علم اليقين، ثم عين اليقين، ثم حق اليقين وهو أعلىٰ المراتب.

ونوضح تلك المقامات بالمثال التالي:

أ – في القرآن الكثير من أوصاف الجنة ونعيمها فهذا الكلام هو علم اليقين لعلمنا بثقة مصدره وهو الله تعالىٰ.

ب– إذا رأينا الجنة بأم أعيننا يتحول علم اليقين إلىٰ عين اليقين لرؤية

الشيء المخبر عنه بالعين .

ج - والمرتبة الأخيرة هي دخول الجنة والتمتع بنعيمها فهنا تحول عين اليقين بعد رؤية الشيء إلىٰ حق اليقين وهو تجربة الشيء بنفسك.

يوضح الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تلكم المقامات، مبينًا المقامين الأولين.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر:٥-٧].

٦ - أسباب حصول اليقين: المتدبر لآيات القرآن الكريم يتبين له أن القرآن قد بين ثلاثة أسباب تؤدي لحصول اليقين نوردها فيما يلي:

١- الإيمان: لا شك أن اليقين الحقيقي الثابت الذي لا يتزعزع بزمان ولا مكانٍ ولا حالٍ ينبع من معين الإيمان بالله وبقضائه وقدره واليوم الآخر، فهناك تلازم بين الإيمان واليقين، فالأول سبب في تحقق الثاني.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٤] .

والذين يُصَدِّقون بما أُنزل إليك أيها الرسول من القرآن، وبكل ما أُنزل مِن قبلك علىٰ الرسل من كتب، كالتوراة والإنجيل وغيرهما، ويُصَدِّقون بدار الحياة بعد الموت وما فيها من الحساب والجزاء، تصديقا بقلوبهم يظهر علىٰ ألسنتهم وجوارحهم وخص يوم الآخرة؛ لأن الإيمان به من أعظم البواعث علىٰ فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، ومحاسبة النفس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ [النمل: ١-٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣





﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾[لقمان: ٢-٤].

وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح؛ لأن خوف العاقبة يحملهم علىٰ تحمل المشاق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾[السجدة: ١٢].

ولذلك عندما حاول المشركون إظهار تحسرهم وندمهم - يوم لا ينفع الندم- لعدم يقينهم بوعد الله وحسابه، تمنوا الرجوع إلىٰ الحياة الدنيا؛ ليكونوا من المؤمنين الذين يكونون من أصحاب اليقين، ولكن هيهات فقد فات الأوان....

٢- التفكر: إن التفكر والتأمل والتدبر في الكون وما أوجده الله فيه من مخلوقات وأشياء عديدة ومتنوعة بعقل مجرد يوصل لا محالة إلىٰ اليقين بألوهية وربوبية الخالق الموجد الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [الرعد ٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ ﴾[طه: ٥٣ - ٥٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾[الرعد: ٤].

ولهذا يري الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إبراهيم ما تحتوي عليه السموات والأرض من



ملك عظيم، وقدرة باهرة، ليستدل به علىٰ وحدانيتنا وليكون من الموقنين بها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

الله تعالىٰ هو الذي رفع السموات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوىٰ -أي علا وارتفع- علىٰ العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلَّل الشمس والقمر لمنافع العباد، كلٌّ منهما يدور في فلكه إلىٰ يوم القيامة. يدبِّر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة علىٰ قدرته وأنه لا إله إلا هو؛ لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتُخْلصوا العبادة له وحده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الرعد: ٢].

والأرض وسيلة وسببًا من أسباب اليقين، ففي الأرض آياتٌ تدل علىٰ الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره لمن يتدبر ويتفكر ويعقل، من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها مِنَ الدلالات علىٰ قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووحدانيته للموقنين.

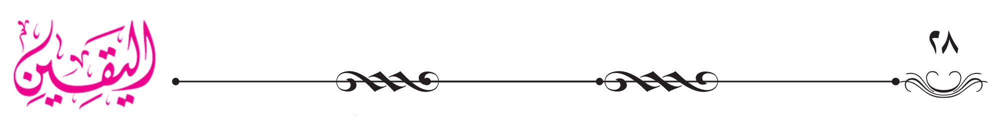
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٩] .

وإذا نظرنا إلىٰ الإنسان خلقًا وإيجادًا وما يبثه الحق من دابة تدب علىٰ الأرض من غير جنس البشر يصل بالإنسان إلىٰ تحقيق اليقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الجاثية: ٤].

فإذا نظرت في ما حولك واستخدمت عقلك ستصل إلىٰ النتيجة الحتمية وبأعلىٰ الطمأنينة أن الخالق المدبر هو الله وهذا هو اليقين حقًّا.





قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ ﴾ [الدخان: ٧].

٣- تدبر القرآن: قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠ ﴾[الجاثية ٢٠].

هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أيها الرسول بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدىً ورحمةٌ لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

وهكذا فإن قراءة القرآن وتدبره بعناية ترسخ اليقين وتقوي منه، وتؤكد صدق القرآن ونبوة المصطفىٰ -ﷺ- .

فالإخبار عن المغيبات عن طريق القرآن الكريم من شأنه أن تجعل الإيمان في قلوب المؤمنين الصادقين يزداد رسوخا وثباتا، فمن تدبر القرآن طالبًا للهدىٰ منه تبين له طريق الحق.

٧ – ثمرات اليقين: لليقين ثمرات بينها القرآن ومن أهمها ما يأتي:

١- الرضا بحكم الله: قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾[المائدة: ٥٠].

تبين الآية أن اليقين والإيمان الحقيقي من علاماته الرضا بحكم الله في كل الأحوال وفي كل الأمور ونبذ كل حكم يخالف حكم الله .

٢- الثبات علىٰ الأعمال الصالحة: قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ ﴾[الذاريات: ٢٠].

واستمرَّ في عبادة ربك مدة حياتك حتىٰ يأتيك اليقين، وهو الموت. وامتثل رسول الله -ﷺ- أمر ربه، فلم يزل دائبًا في عبادة الله، حتىٰ أتاه اليقين من ربه.

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا



﴿... دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١].

أي: أبدًا، فالمؤمن الحقيقي تكون عبادته لله ليست عبادة مؤقتة أو مرتبطة بزمان معين أو مكان معين أو عبادة ليسر أو عسر، بل عبادة الموقن الحقيقي عبادة دائمة وفي كل الأوقات والأزمان والأمكان.

٣- الثقة في وعد الله ووعيده: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

فاصبر -أيها الرسول- علىٰ ما ينالك مِن أذىٰ قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق لا شك فيه، ولا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء.

٤- الإمامة في الأرض: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

وجعلنا الكتاب المنزل علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هدىً لقومه وجعلنا منهم أئمةً يهدون الناس ويدعونهم إلىٰ ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات.

٥- الانتفاع بهداية القرآن ورحمته: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠].

يبين الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الإيمان واليقين بالقرآن وما فيه من شرع الله يجعل صاحبه يدرك الفلاح في الدنيا والآخرة.

٦- الفلاح في الدنيا والآخرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٤ – ٥].

خص سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهل اليقين بالفلاح، والمفلحون هم الفائزون بالجنة والباقون.



وجوب تحقيق اليقين في كلمة التوحيد الكلمة الطيبة والعروة الوثقى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي مَسِير (وفي رواية: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ) فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ. قَالَ حَتَّىٰ هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ. قَالَ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا. قَالَ فَفَعَلَ. قَالَ فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ. وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ. وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَىٰ؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ. قَالَ فَدعا عَلَيْهَا. حَتَّىٰ مَلأَ الْقَوْمُ أَزْودَتَهُمْ. قَالَ فَقال عِنْدَ ذٰلكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ. لاَ يَلْقَىٰ الله بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ». ورواه البخاري من حديث سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريج الحديث: الحديث أخرجه مسلم، حديث (٢٧)، وأما البخاري فروىٰ نحوه من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، في «كتاب الشركة» «باب الشركة في الطعام والنهد والعروض» حديث (٢٤٨٤).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسول الله -ﷺ-، معنا أبو بَكْر، وعُمَرُ في نَفَر، فَقامَ رَسولُ الله -ﷺ- من بَيْن أَظْهُرنا، فأَبْطَأَ عَلَيْنا، وخَشِينا أنْ يُقْتَطَعَ دُونَنا، وفَزِعْنا، فَقُمْنا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنَ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسولَ الله -ﷺ- حتَّىٰ أَتَيْتُ حائطًا للأَنْصار لِبَنِي النَّجَّار، فَدُرْتُ به هلْ أَجِدُ له بابًا؟ فَلَمْ أجِدْ، فإذا رَبِيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حائِط من بَئْر خارِجَة، والرَّبيعُ الجَدْوَلُ، فاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ علىٰ رَسول الله -ﷺ-، فقالَ: أَبو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ: نَعَمْ يا رَسولَ الله، قال: ما شَأْنُكَ؟ قُلتُ: كُنْتَ بيْنَ أَظْهُرنا، فَقُمْتَ فأَبْطَأْتَ عَلَيْنا، فَخَشِينا أنْ تُقْتَطَعَ دُونَنا، فَفَزِعْنا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَن فَزِعَ، فأَتَيْتُ هذا الحائطَ، فاحْتَفَزْتُ كما يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وهَؤُلاءِ النَّاسُ ورائِي، فقالَ: يا أَبا هُرَيْرَةَ وأَعْطاني نَعْلَيْه، قالَ: اذْهَبْ بنَعْلَيَّ هاتَيْن، فَمَن لَقِيتَ من وراء هذا الحائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بها قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ، فَكانَ أَوَّلَ مَن



لَقيتُ عُمَرُ، فقالَ: ما هاتان النَّعْلان يا أبا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلتُ: هاتان نَعْلا رَسولِ الله -ﷺ-، بَعَثَني بهما مَن لَقِيتُ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بها قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بالجَنَّة، فَضَرَبَ عُمَرُ بيَدِه بيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لاسْتي، فقالَ: ارْجِعْ يا أبا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إلى رَسولِ الله -ﷺ-، فأجْهَشْتُ بُكاءً، ورَكِبَني عُمَرُ، فإذا هو علَى أثَري، فقال لي رَسولُ الله -ﷺ-: ما لكَ يا أبا هُرَيْرَةَ؟ قُلتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فأخْبَرْتُهُ بالَّذي بَعَثْتَني به، فَضَرَبَ بيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لاسْتي، قالَ: ارْجِعْ، قالَ رَسولُ الله -ﷺ-: يا عُمَرُ، ما حَمَلَكَ علَى ما فَعَلْتَ؟ قالَ: يا رَسولَ الله، بأَبِي أنْتَ، وأُمِّي، أبَعَثْتَ أبا هُرَيْرَةَ بنَعْلَيْكَ، مَن لَقِيَ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بها قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بالجَنَّة؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فلا تَفْعَلْ، فإنِّي أخْشَى أنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عليها، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قالَ رَسولُ الله -ﷺ-: فَخَلِّهِم) أخرجه مسلم (٣١).

النبي -ﷺ- يسأل اليقين من ربه اذا قام من مجلسه في أكثر أحواله:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (قلَّما كانَ رسولُ الله -ﷺ- يقومُ من مَجلسٍ حتَّى يدعوَ بهَؤلاءِ الكلماتِ لأصحابِه: اللَّهمَّ اقسِم لَنا من خشيتِك ما يَحولُ بينَنا وبينَ معاصيكَ، ومن طاعتِك ما تبلِّغُنا بِه جنَّتَكَ، ومنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِه علَينا مُصيباتِ الدُّنيا، ومتِّعنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتنا ما أحييتَنا، واجعَلهُ الوارثَ منَّا، واجعَل ثأرَنا على من ظلَمَنا، وانصُرنا علَى من عادانا، ولا تجعَل مُصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ عِلمِنا، ولا تسلِّط علَينا مَن لا يرحَمُنا) أخرجه التِّرمذي (٣٥٠٢) واللفظ له، والنسائي في (السُّنَن الكبرى) (١٠٢٣٤)، والطبراني في (الدعاء) (١٩١١).

الشرح:

في هذا الحديثِ دُعاءٌ للنَّبيِّ -ﷺ-، جامعٌ لكثيرٍ من أبوابِ الخيرِ وتحقيقِ السَّعادةِ في الدَّارينِ؛ فقَد اشتَمَل علَى مَطالِبَ عَظيمةٍ فيما يَحتاجُ إليه العبدُ في

دينه ودُنياه، وفيه يَقولُ ابنُ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَلَّما كان رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقومُ من مَجلِس»، أي: نادرًا ما يقومُ النَّبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِن مَجلس، «حتَّىٰ يَدعُوَ بهؤلاءِ الكلماتِ»، أي: يكونُ حَريصًا علىٰ أن يَدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ لأصحابه: «اللَّهمَّ اقْسم لنا»، أي: اللَّهمَّ ارزُقْنا نَصيبًا وحَظًّا «مِن خَشيَتِك»، أي: مِن الخَوف منك وتَعظيمِك وإجلالِك «ما يَحولُ بينَنا وبينَ مَعاصيك»، أي: تَكونُ هذه الخَشيةُ حائلًا ومانعًا مِن الوُقوعِ في المعصيةِ والذُّنوب؛ وذلك أنَّ العَبدَ إذا امتَلأ قلبُه إجلالًا وتَعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ ذلك يَمنَعُه مِن أن يَرتكبَ المحظورات، «ومِن طاعَتِك»، أي: وارزُقْنا القِيامَ بامتثالِ والْتِزامِ ما تُحبُّه وتَرْضاه من الأقوالِ والأَفعالِ «ما تُبَلِّغُنا به»، أي: تُوصِّلُنا بهذه الطَّاعةِ «جنَّتَك» ورضْوانَك، «ومِنَ اليقينِ»، أي: ارزُقْنا قوَّةَ الإيمانِ بما قدَّرتَه وكتَبْتَه مِن الحِكْمةِ وتكفيرِ سيِّئاتِنا ورَفْعَ درَجاتِنا «ما تُهوِّنُ به علَينا»، أي: تُسهِّلُ بهذا اليقينِ علَينا «مُصيباتِ الدُّنيا»، أي: ما يقَعُ لنا مِن مِحَنٍ وابتِلاءاتٍ في الدُّنيا، «ومَتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتِنا»، أي: اجعَلْنا مُنتفعِين بما أنعَمتَ علينا مِن نِعَمِ السَّمعِ والبصَرِ والقوَّةِ «ما أحيَيتَنا»، أي: مُدَّةَ بَقائنا إلىٰ أن نَموتَ، «واجعَلْه»، أي: اجعَلِ التَّمتُّعَ والانتِفاعَ بالسَّمعِ والبصَرِ والقوَّةِ «الوارِثَ منَّا»، أي: باقيًا مُستمرًّا بأنْ تكونَ صحيحةً وسليمةً إلىٰ الموتِ، فكانت بمكانةِ الوارث؛ لأنَّه هو مَن يَبْقىٰ بعدَ وفاةِ مُورِّثِه، وقيل: اجعَلْ هذا الانتفاعَ والتَّمتُّعَ في ذُرِّيَّتِنا مِن بَعدِنا، «واجعَلْ ثأرَنا»، أي: اجعَلْ انتقامَنا وطلَبَنا لحَقِّنا «علىٰ مَن ظلَمَنا» لا يتعدَّاه فنُدرِكُه منه، ولا تَجْعَلْنا مُعتَدين علىٰ غَيرِنا فنكونَ ظالِمين، «وانصُرْنا»، أي: وارزُقْنا الظَّفرَ «علىٰ مَن عادانا»، أي: مَن تَعَدَّىٰ علينا بغيرِ حقٍّ.

«ولا تَجعَلْ مُصيبَتَنا في دينِنا»، أي: اللَهمَّ لا تُصِبْنا بما يَنقُصُ دِينَنا من اعتقادِ سُوءٍ، وأَكْلِ الحرامِ، أو فَترةٍ وكَسلٍ في العبادةِ وغيرِ ذلك مِن المعاصي المهلِكاتِ، والمصيبةُ في الدِّينِ هي المصيبةُ الحقيقيَّةُ؛ لأنَّه إذا أُبقِيَ علىٰ دِينِ

المرءِ فما فاتَه من الدُّنيا شيءٌ، وإذا ضاعَ الدِّينُ لم يَفُزْ بشيءٍ، «ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبَرَ هَمِّنا»، أي: لا تجعَلْ أعظَمَ ما نَقصِدُه ونَهتَمُّ به ونَحزَنُ من أجلِه هو أمورَ الدُّنيا، فنَنشَغِلَ بها، وتُلهِيَنا عن العِبادةِ والطَّاعةِ، «ولا مَبْلَغَ»، أي: ولا تجعَلِ الدُّنيا مُنتهَىٰ وغايةَ «علْمنا»، أي: لا يَكونُ علمُنا كلُّه هو التَّفكُّرَ في أحوالِ الدُّنْيا؛ بحيثُ نَكونُ ناسينَ لِلآخِرَة، «ولا تُسلِّطْ علينا مَن لا يَرحَمُنا»، أي: من القوم الكافِرينَ، أو من الأُمراءِ الظَّالِمين، أو من السُّفهاءِ الجاهلينَ؛ فلا تَجعَلْ لهؤلاءِ علَينا مِن سَبيلٍ أو سُلطانٍ، ولا تَجعلْنا مغلوبينَ لهم، أو لا تَجعلِ الظالمينَ حاكِمينَ علينا؛ فإنَّهم لا يَرحَمون الرَّعيةَ. وقيل: لا تُسلِّطْ علينا مَلائكةَ العَذابِ في القَبرِ والنَّارِ.

وفي الحديثِ: الحِرصُ علىٰ مُلازَمةِ الطَّاعةِ.

وفيه: الحِرْصُ علىٰ العِلمِ الَّذي يَنفَعُ في الآخِرَةِ.

وفيه: الحثُّ علىٰ الدُّعاءِ الجامعِ لخيرِ الدُّنيا والآخِرَةِ.

هذا الدعاء من أعظم الأدعية التي كان النبي -ﷺ- يدعو بها لنفسه ولأصحابه، وعلمها أمته رحمة بهم وشفقة عليهم، إذ لم يترك هذا الدعاء من خيري الدنيا والآخرة أمرا إلا وتضمن أكمل ما فيه وأحسنه

ولذلك بوب عليه الإمام النووي في كتابه العظيم « الأذكار» (٢٩٩) بقوله: «باب دعاء الجالس في جمع لنفسه ومن معه » انتهىٰ.

اهمية اليقين عند سيد المرسلين :

عن أبي بكر حين قُبِضَ النبيُّ -ﷺ- يقولُ قام رسولُ الله -ﷺ- في مقامي هذا عامَ الأولِ ثم بكىٰ أبو بكرٍ ثم قال عليكم بالصدقِ فإنَّهُ مع البرِّ وهما في الجنة وإياكم والكذبُ فإنَّهُ معَ الفجور وهما في النار وسلُوا الله المعافاةَ فإنَّهُ لم يُؤْتَ أحدٌ بعد اليقينِ خيرًا من المعافاةِ ولا تَحاسَدُوا ولا تباغَضوا ولا





تقاطَعوا ولا تدابَروا وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا.

أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) مختصراً بنحوه، والنسائي في (السُّنَن الكبرىٰ) (١٠٧٢١)، وأحمد (٤٩) باختلاف يسير، وابن ماجه (٣٨٤٩) مطولاً، والمروزي في (مُسند أبي بكر) (١٢٧) واللفظ له.

الشرح:

كان النَّبيُّ -ﷺ- حريصًا علىٰ إرشادِ أُمَّته إلىٰ الأمورِ المهمَّةِ الَّتي فيها نفْعُهم في الدُّنيا والآخرَةِ؛ ومِن ذلك: وصيَّتُه للمسلمين بالحِرص علىٰ الصِّدقِ مع اليَقينِ والبُعدِ عن الكذبِ، ووصيَّتُه بالتَّحابُبِ وعدَمِ التَّنافُرِ والخِلافِ.

وفي هذا الحديثِ تَوضيحٌ لبعض وَصايا النَّبيِّ -ﷺ- في هذا الأمْر، وفيه يُخبرُ أوسَطُ بنُ إسماعيلَ البَجَليُّ: «أنَّه سَمِع أبا بَكر»، أي: في خُطبَته. وفي رِوايَةِ التِّرمذيِّ: «قام أبو بَكر الصِّدِّيقُ علىٰ المنبَر ثُمَّ بَكىٰ»، قال أوسَطُ: «حين قُبِض النَّبيُّ -ﷺ- يقولُ: قام رسولُ الله -ﷺ- في مَقامي هذا»، أي: قام خَطيبًا في النَّاس علىٰ هذا المِنبَر، «عامَ الأوَّلِ»، أي: مِن الهِجرة، «ثمَّ بَكىٰ أبو بَكر»، أي: بَكىٰ مِن ذِكره النَّبيَّ -ﷺ-، «ثمَّ قال»، أي: النَّبيُّ -ﷺ-: «علَيكم بالصِّدق»، أي: الْزَموه وداوموا عليه، والصِّدقُ هو الإخبارُ علىٰ وَفق ما في الواقِع، وقولُ الحقِّ، وقد يُستعمَلُ في أفعالِ الجوارح نحوَ: صَدَقَ فلَانٌ في القتال: إذا أوفاه حقَّه؛ «فإنَّه مع البرِّ»، والبرُّ: اسمٌ جامعٌ للخَير كلِّه، ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ بالبرِّ العِبادةُ، «وهما في الجنَّة»، أي: الصِّدقُ مع البرِّ يُدخِلان صاحِبَهما الجنَّةَ، «وإيَّاكم والكذِبَ»، أي: فاجتَنِبوه واحذَروا الوقوعَ فيه، والكذبُ هو قولُ الباطل، والإخبارُ علىٰ غير ما هو في الواقع، وأعظمُه: الكَذِبُ علىٰ اللهِ تعالىٰ ورَسولِه -ﷺ-، وثَمَّةَ كَذِبٌ بالفِعلِ أيضًا،



كفعلِ الإنسان خلافَ ما يُبطِنُ؛ فالمنافق كاذبٌ لأنَّه يُظهرُ إيمانَه، ولكنَّه ليس مؤمنًا في الباطنِ؛ «فإنَّه مع الفُجور»، أي: الخُروج عن الطَّاعةِ، والميل عن الاستقامَةِ، «وهما في النَّارِ»؛ فالكذِبُ معَ الفُجور يُدخِلان صاحِبَهما النَّارَ.

ثُمَّ قال: «وسَلوا اللهَ المعافاةَ» اطلُبوا منه عَزَّوَجَلَّ أن يَمُنَّ عليكم بالمعافاةِ، وهي السَّلامةُ في الدِّينِ من الفتنةِ، وفي البدَنِ من سيِّئ الأسقام وشدَّة المحنة، فهي بذلك أجَلُّ نِعَمِ اللهِ علىٰ عبدِه، فيتعيَّنُ مُراعاتُها وحفظُها؛ «فإنَّه لم يؤتَ أحَدٌ بعدَ اليَقين»، أي: عَلمِ اليَقينِ وهو الإيمانُ والبَصيرةُ في الدِّينِ، وبه يَتِمُّ تحقيقُ الإيمانِ بالغيبِ وإزالةُ كلِّ شكٍّ أو رَيبٍ في جَنبِ اللهِ، «خيرًا من المُعافاة».

ثمَّ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ولا تَحاسَدوا»، والحسَدُ المذمومُ: هو أن يرَىٰ أحدُهم النِّعمةَ في غَيره فيتمنّىٰ زوالَها عنه، سواءٌ حصلتْ لنَفْسه هو أو لا، «ولا تَباغَضوا»، أيَ: تُقدِّموا أسبابَ البُغضِ والكَراهيةِ بين بعضكم البعض، «ولا تَقاطَعوا»، أي: لا يُقاطِعْ بعضُكم بعضًا، والتَّقاطُعُ ضدُّ الوَصلِ، «ولا تَدابَروا»، وهذا كِنايةٌ عن العَدواة، وهو تأكيدٌ للنَّهي عن المقاطَعةِ، وهذا نَهيٌ عن وُقوعِ هذه الشُّرور بين المسلمين؛ بحيثُ لا يَحسُدُ بعضُهم بعضًا ولا يَكرَهُ بعضُهم بعضًا، ولا يَقطَعون الأرحامَ والصِّلاتِ فيما بينهم، فيكونَ بينَهم التَّدابُرُ والمخالَفةُ بين القلوبِ، «وكُونوا عِبادَ اللهِ إخوانًا»؛ بأنْ يكونَ المسلِمُ أخًا حقيقيًّا لأخيه المسلمِ؛ في المحبَّةِ والأُلفَةِ، وعدم التَّعرُّضِ له بالسُّوءِ، والدِّفاع عن عِرضِه، وغيرَ ذلك من مُقتَضَياتِ الأخوَّةِ.

وفي الحديث: الحثُّ علىٰ التِّزام الصِّدق في كلِّ الأمور؛ فإنَّ عاقبتَه إلىٰ الجنَّة.

وفيه: التَّحذيرُ من الكذبِ الدَّائم؛ لأنَّه يؤدِّي إلىٰ النَّارِ ويُفسدُ الأعمالَ.

وفيه: دعوةٌ إلىٰ الأُلفةِ والتَّآخي بين المسلمين، مع التَّحذير والنَّهي عن وقوعِهم في الحِقدِ والحسَدِ، والتَّنافُرِ؛ وهذا كلُّه أساسٌ للمجتمَعِ السَّليمِ.





ثمرات اليقين وآثاره :

لليقين آثار كثيرة وثمرات عظيمة في حياة العبد ومعاده، ومن تلك الثمرات ما يلي :

١- اليقين من أعظم أسباب حياة القلب وطمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة، فاليقين يزيل الريب والشك والسخط، ويملأ القلب نورًا وإشراقًا ورجاءً وخوفًا من الله ومحبة له، ورضىً بما قدر، وهو من أسباب زيادة أعمال القلوب كالتوكل والإنابة والخوف والخشية وإحسان الظن بالله تعالىٰ، ولابد لليقين من علم صحيح يوصل بالخوف والرجاء فهما يدفعان إلىٰ العمل بتحري الإتباع والإخلاص (انظر: مفتاح دار السعادة) .

وتأمل حال خليل الرحمن إمام الموحدين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما سأل ربه قائلًا كما أخبر الله تعالىٰ عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسؤاله هذا « أحب أن يترقىٰ من علم اليقين بذلك إلىٰ عين اليقين وأن يرىٰ ذلك مشاهدة » (تفسير القرآن العظيم) فقال الله تعالىٰ له: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ ﴾ فأجاب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ ﴾ فرضي الله من إبراهيم قوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾ وعلم سبحانه من حال هذا الرسول الكريم أنه يريد زيادة الاطمئنان واليقين، وإزالة ما قد يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان (تفسير القرآن العظيم) .

فازداد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ باليقين إيمانًا وقوة حجة وبرهان .

٢- اليقين من أعظم أسباب قوة الإيمان وزيادته، وبه تنال الإمامة في الدين، يقول ابن القيم سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: « بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا



صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة ٢٤]. (مدارج السالكين) .

كما أن من ثمراته العظيمة قوة التوكل علىٰ الله - كما أشرت في الثمرة الأولىٰ - هذا العمل القلبي العظيم، فكلما ازداد اليقين في نفس العبد قوي توكله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩] ، والحق هنا هو اليقين كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (مدارج السالكين) .

٣- اليقين سبب لتوفيق الله لعبده للجواب الصحيح حين سؤال الملكين في القبر - نسأل الله الثبات علىٰ الحق - كما أن اليقين سبب لدخول الجنة: فقد ثبت أن رسول الله -ﷺ- قال: «...ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتىٰ الجنة والنار، فأوحي إلىٰ أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل ؟.

فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدىٰ فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثًا، فيقال نم صالحًا قد علمنا إن كنت لموقنًا به، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته» (أخرجه البخاري ومسلم) .

ويشهد لذلك الحديث السابق ذكره وهو قوله -ﷺ- لأبي هريرة: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة» (أخرجه مسلم) وكذلك جاء في سيد الاستغفار قوله -ﷺ- : «من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (أخرجه البخاري) .

٤- اليقين من أعظم الأسباب المعينة علىٰ العبادات والقيام بالمشروعات والإقدام علىٰ الأمر بالمعروف وإنكار المنكر والجهاد في سبيل الله تعالىٰ ؛



وذلك إن اليقين يمنع ورود الشهوات والشبهات على القلوب، ويدفع عن النفس ما قد تجده من ثقل أو صعوبة في بعض العبادات، يقول ابن القيم: « والقلب متى استيقن ما أمامه من كرامة الله وما أعد لأوليائه... زالت عنه الوحشة التي يجدها المتخلفون، ولان له ما استوعره المترفون » (مفتاح دار السعادة) .

ويقول الحسن البصري: « ما طلبت الجنة إلا باليقين، ولا هرب من النار إلا باليقين، ولا صبر على الحق إلا باليقين » (فتح الباري لابن رجب) .

ويقول سفيان الثوري: « لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقًا إلى الجنة وخوفًا من النار » (فتح الباري لابن رجب، وسير أعلام النبلاء) .

٥- اليقين من أسباب انشراح الصدر وسلامة النفس من الخوف والقلق والتردد، فاليقين يعين على الصبر والاحتساب والرضا بالقضاء والقدر، ويدفع عن القلب الوساوس والخواطر السيئة .

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١] ، فاليقين - كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - من أفضل مواهب الرب لعبده ؛ إذ لا تثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين، يقول ابن مسعود في تفسير الآية السابقة: « هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم » يقول ابن القيم: « فهذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه » (انظر: مفتاح دار السعادة) .

ويقول ابن رجب: « فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفًا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة » (جامع العلوم والحكم) .



وتأمل قصة مسارعة أبي بكر الصديق إلىٰ تصديق الرسول -ﷺ- في حادثة الإسراء والمعراج، فإن فيها من العبر اليقينية الشيء العظيم؛ فإنه «لما أسري بالنبي -ﷺ- إلىٰ المسجد الأقصىٰ أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: هل لك إلىٰ صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة؛ فلذلك سُمي أبو بكر: الصدِّيق»(أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة).

هذه بعض الثمرات والآثار الحسنة علىٰ من تحلىٰ بقوة اليقين، واعتنىٰ بترقيته ومداومة مراجعته في نفسه.

إنها ثمرات عظيمة فلا تفوتك أخي المسلم، فالوصول إليها سهل ميسور لمن علم الله منه صدق الإخلاص والمتابعة وتحري الحق أين ما كان.

طرق تقوية اليقين

فما نراه اليوم من موجات للإلحاد والانتحار والإحباط والهزيمة النفسية وسط بعض المسلمين - أمر في غاية الخطورة يستحق أن نقف معه، والذي ينظر إلىٰ هذه الأحداث بنظرة القرآن والسنة يعلم يقينًا أن السبب الحقيقي في هذه الموجات ليس الفقر أو الظلم أو مرضًا نفسيًا وإن كانت هذه أسباب لكنها ليست الأساسية، فالسبب الحقيقي هو ضعف اليقين في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فكم مرَّت بالأمة من أزمات علىٰ مرِّ القرون، ولم نسمع أن أحدًا انتحر، أو



ألحد بسبب هذه الأزمات، وفي أيامنا هذه هناك من تعرض للابتلاء والفتن، ومع ذلك فهو ثابت صابر قوي اليقين في الله، إذ كيف يَضعف اليقين في قلوبنا وكل ما حولنا يُذكرنا بالله؟ فما أشرق النهار إلا ذكَّرنا بالله! وما أظلم الليل إلا ذكَّرنا بالله! وما حدث شيءٌ في الكون إلا وذكرنا بقَدَرِ الله؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩]، فما اليقين؟ وما منزلته في الإسلام؟ وكيف نغذيه في قلوبنا؟ اليقين هو كمال جزم القلب بكلام الله ورسوله -ﷺ-، وفراغه من التردد والشك، ولليقين منزلة عظيمة في الإسلام:

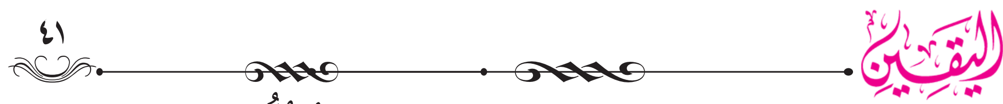
- فهو أعلىٰ مراتب الدين التي بيَّنها النبي -ﷺ- لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه الجلسة التعليمية المباركة بين أمين السماء وأمين الأرض؛ كما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، فالإحسانَ هو اليقين المطلق حينما تنهار في القلب الفوارق بين الغائب والحاضر، فيصبح كلاهما سواء عند المؤمن.

- ولذا جعل الله اليقين من أوصاف أئمة الدين؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة ٢٤].

- بل إن الله جل وعلا اقتضت حكمته أن يفصل الآيات الكونية والشرعية لنحقِّق لليقين، فقال تعالىٰ : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد :٢] .

- بل إن اختبار القبر إنما هو اختبار يقين حقيقة، فينجح فيه صاحب القين ويرسب فيه صاحب الشك؛ كما ورد في مسند أحمد من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله -ﷺ- أخبر أنه يُقال للمؤمن في قبره: «عَلَىٰ الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ»، ويُقال للمنافق: «كُنْتَ عَلَىٰ الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ».





- قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ».

- ولذا صاحب اليقين ينعم بكل خير في الدنيا والآخرة، فلا يُدرك عظمة القرآن وينتفع به إلا صاحبُ اليقين، فعلىٰ قدر اليقين في قلبك، يكن انتفاعك بالقرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ ﴾ [الجاثية :٢٠] .

- لا يُدرك جمال الشريعة إلا صاحبُ اليقين بخلاف أهل الشك والتردد، فهؤلاء لا يدركون جمال الشريعة، ويقعون فريسة للتيارات الفكرية المنحرفة كالعلمانية والإلحادية وغيرها؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة ٥٠].

كيف نُغذي اليقينَ في قلوبنا؟

أولًا: الاستعانة بالله وطلب اليقين من ذي الجلال والإكرام، وكان من دعاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؛ كما ورد في سُنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا».

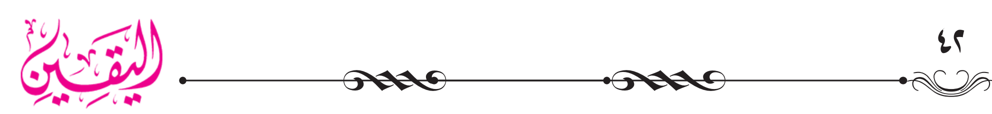
ثانيًا: التدبر في القرآن والسنة تزداد يقينًا وإيمانًا كما ذكرنا من قبلُ.

ثالثًا: التفكر في آيات الله في الكون؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ ﴾[الأنعام:٧٥]، تفكَّر في نفسك وما حولك من آيات، وقال تعالىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

رابعًا: القراءة في سير سلفنا الصالح من الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين تجد ما يُسلي قلبك ويملأه يقينًا بإذن الله.

خامسًا: تجنب أهل الشك والريبة، فلا تسمع لهم ولا تجالسهم، ولا تتأثر بشُبهاتهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ





﴿لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠] .

سادسًا: دائمًا راقب نفسك هل أنت موقن بآيات الرزق، وآيات الدعاء، وآيات النصر، فكلها وعود من الله، فالزَم اليقين والملتقىٰ الجنة بإذن الله، واحذَر أهل الشك والريبة، فشتان بين من يتنافس في اليقين وبين من يتنافس في الشك في الدين، والحمد لله رب العالمين.

منزلة اليقين :

اليقين شعبة من شعب الإيمان بل هو من أعلىٰ درجات أعمال القلوب ؛ إذ هو العلم الجازم بإيمان وطمأنينة نفس بما جاء عن الله تعالىٰ يقينًا يدفع صاحبه إلىٰ اتباع الشرع الحنيف .

يقول ابن القيم: « وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون... وخصَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠].

وخص أهل اليقين بالهدىٰ والفلاح من بين العاملين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥﴾ [البقرة :٤-٥] .

فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصدِّيقية » (مدارج السالكين) .

ولهذا ورد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «اليقين هو الإيمان كله» (أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في كتاب الإيمان) ومراده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيان عظم هذه الشعبة وأنها من أعلىٰ درجات الإيمان، وليس مقصوده أن الإيمان هو هذه الشعبة أو الدرجة ؛ إذ أن اليقين جزء عظيم من حقيقة



الإيمان وليس هي فقط الإيمان، بل الإيمان اعتقاد وقول وعمل، يقول ابن القيم: « فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه « (الفوائد) .

ولعظم منزلة اليقين أثنىٰ الله علىٰ المتصفين به، في مثل قوله تعالىٰ: ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة :٤-٥] .

وقوله: ﴿ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: ٣، لقمان: ٤) .

وغيرها من الآيات، كذا رسول الله -ﷺ- امتدح أهل اليقين وحث عليه وأمر بطلبه ؛ إذ هو من أسباب الصلاح ودخول الجنة .

فقد قال -ﷺ- لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة»(أخرجه مسلم) .

وقال -ﷺ- : «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل» (أخرجه أحمد في الزهد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير) .

وقال أيضـًا: «... وسلوا الله اليقين والمعافاة ؛ فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرًا من المعافاة» (أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في الأدب المفرد، وصحيح سُنن ابن ماجه) .

وفي المقابل وصف الله تعالىٰ الكفار والمنافقين بنقيض اليقين ؛ إذ وصفهم بالشك والريب والتردد ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (فصلت: ٤٥) وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (الشورىٰ: ١٤) وقال في المنافقين: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (التوبة: ٤٥) .

ومما يدل علىٰ المنزلة العظيمة لليقين أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما أراد أن



يزيد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إيمانًا مع قوة إيمانه فهو أبو الأنبياء عليه وعلىٰ رسولنا أفضل الصلاة والسلام رفعه ورقاه إلىٰ درجة اليقين، فأراده ملكوت السماوات والأرض ليصل إلىٰ تلك المنزلة الرفيعة، إذ أخبر الله تعالىٰ عن ذلك بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (الأنعام: ٧٥) .

اليقين من شعب الإيمان:

اليقين شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وصفة من صفات أهل التقوىٰ والإحسان، واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنىٰ شك، الموجب للعمل.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليقين هو سكون القلب عند العمل بما صدق به القلب فالقلب مطمئن ليس فيه تخويف من الشيطان ولا يؤثر فيه تخوف فالقلب ساكن آمن ليس يخاف من الدنيا قليلاً ولا كثيرًا.

واليقين: هو التصديق الكامل الجازم، الذي لا تردد فيه، بحيث لا يعرض له شك، ولا شبهة، ولا ريب بحالٍ من الأحوال. وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف علىٰ ما قام به بالحق.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا من قلبه وبدنه.

واليقين عده بعض العلماء الإيمان كله، قال بعض السلف: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، وقال ابن القيم: «اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وهو مع المحبة ركنان للإيمان، وعليهما ينبني وبهما قوامه، وهما يُمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية، وعنهما تصدر، وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما تقوىٰ الأعمال، وجميع منازل السائرين إنما تُفتتح



بالمحبة واليقين، وهما يثمران كل عمل صالح، وعلم نافع، وهدىً مستقيم.

ولهذا قال أبو بكر الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اليقين ملاك القلب،وبه كمال الإيمان، وباليقين عُرف الله، وبالعقل عُقل عن الله».

ولقد كان من دعاء النبي -ﷺ-: «اللهم اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصائب الدُّنْيَا، اللهم أمتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصارنا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا. أَخْرَجَهُ التِرمذي والنَّسائي عن ابن عمر رضي الله عنه.

مراتب اليقين:

العلم، وحُسن التوكل، والرضا والتسليم، وعدم تعلق القلب بغير الله، وأن يكون أوثق بما في يد الله تعالىٰ عما هو في يده، كان أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحب التصدق والإيثار علىٰ نفسه، وكان يتصدق بقوته ويبيت طاويـًا، فأصبح يومـًا وليس في بيته غير درهم واحد، فقالت له زوجته: خذ هذا الدرهم واشتر به دقيقـًا نعجن بعضه ونطبخ بعضه للأولاد، فإنهم لا يصبرون علىٰ ألم الجوع، فأخذ الدرهم والمزود وخرج إلىٰ السوق، وكان الجو شديد البرودة، فصادفه سائل فتحوله عنه، فلحقه وألح عليه وأقسم عليه، فدفع له الدرهم وبقي في هم وكرب، وفكر كيف يعود إلىٰ الأولاد والزوجة بغير شيء، فمر بسوق البلاط وهم ينشرونه ففتح المزود وملأه من النشارة وربطه وأتىٰ به إلىٰ البيت فوضعه فيه علىٰ غفلة من زوجته ثم خرج إلىٰ المسجد فعمدت زوجته إلىٰ المزود ففتحته فإذا فيه دقيق أبيض فعجنت منه وطبخت للأولاد فأكلوا وشبعوا ولعبوا فلما ارتفع النهار جاء أبو مسلم وهو علىٰ خوف من امرأته فلما جلس أتته بالمائدة والطعام فأكل، فلما فرغ



قال: من أين لكم هذا؟ قالت: من المزود الذي جئت به أمس، فتعجب من ذلك وشكر الله علىٰ لطفه وكرمه .

واليقين: ثلاث درجات:

الأولىٰ: علم اليقين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ [التكاثر: ٥]، فعلم اليقين هو العلم الجازم المطابق للواقع الذىٰ لا شك فيه.

والثانية: عين اليقين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التكاثر: ٧]. وهو ما كان عن مشاهدة وانكشاف.

والثالثة: حق اليقين. قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٥١-٥٢].

وهو ما كان عن ملابسة ومخالطة.

قال بعض الصالحين رَحِمَهُ اللَّهُ : «إن اليقين هو تصديق الأمر تصديقـًا مؤكداً، بحيث لا يطفو إلىٰ الذهن لِيُناقش من جديد، بعد أن تكون قد علمته من مصادر تثق بصدق ما تَبلغك به.

أما عَيْن اليقين؛ فهي التي ترىٰ الحدث فتتيقّنه، أو هو أمر حقيقيّ يدخل إلىٰ قلبك فَتُصدقه، وهكذا يكون لليقين مراحل: أمر تُصدِّقه تَصديقـًا جازمـًا فلا يطفو إلىٰ الذهن لِيُناقَش من جديد، وله مصادر عِلْم مِمَّنْ تثق بصدقه، أو: إجماع من أناس لا يجتمعون علىٰ الكذب أبداً؛ وهذا هو «علم اليقين»؛ فإنْ رأيتَ الأمر بعينيك فهذا هو حق اليقين».

الأنبياء ضربوا أروع الأمثلة في باب اليقين :

ولقد ضرب أنبياء الله ورسله الكرام المثل الأعلىٰ في اليقين وحُسن الثقة بالله تعالىٰ ، من صدق الإيمان أنْ يَتيقَّنَ المؤمنُ أنَّ اللهَ هوَ كافيه ما أهمَّه وألَمَّ بِه، وأنَّه نِعْمَ الكافِي لِذلكَ، ويَتمثَّلُ هذا في القَولِ بِصِدقٍ: حَسبُنا اللهُ ونِعْمَ



الوَكيلُ؛ فهوَ حَسبُنا وكافينا ونِعمَ المَولىٰ ونِعمَ النَّصيرُ .

١-خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَهَا إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ في النَّار، وقالَهَا مُحَمَّدٌ -ﷺ- حِينَ قالوا: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].رواه الإمام البخاري ٤٥٦٣ .

٢- موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

وها هو كليم الله موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لأصحابه حينما أدركهم فرعون فوجدوا البحر من أمامهم والعدو من ورائهم: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٦].

٣- يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

بعد أن ابتلعه الحوت وغاص به في أعماق البحر فكان في ظلماته علم أن لا يغيثه ولا يقدر علىٰ سماعة وإنقاذه إلا الله ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فنجاه الله من بطن الحوت بدون أذىٰ وهكذا ينجي الله كل من توكل عليه.

٤- زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

ابتلىٰ الله تعالىٰ زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعدم الذرية فدعا ربه بكل يقين في الله ولنتأمل تفاصيل الدعاء الذي دعا به ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم: ٤] قال رب إني



كَبِرْتُ وضعف عظمي وانتشر الشيب في رأسي، كل هذه الأمور حدثت له عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم يترك الدعاء ويقل في نفسه انتهت حياتي فلماذا اطلب الولد ولم يأتني وأنا عز الشباب من سيصدق أنه سيأتيني الآن، لا لم يقل هذا وحاشا لنبي مرسل أن يقول هذا.. فعلمه كان يقينا بأن الأمل برحمة الله تعالىٰ يجب أن يبقىٰ حتىٰ آخر لحظة في حياة ابن آدم مادام النفس موجود فالأمل موجود.. وانتظار البشارة بالنعم المرجوة موجودة وباقية وبنفس الهمة فكيف يترك الدعاء وهو يعلم كل ذلك؟.

٥- محمد -ﷺ- مع صاحبه ورفيقه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهما في الغار فيأتي الكفار يقفون علىٰ باب الغار فيرىٰ أقدامهم ويقول: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه يرانا فقال -ﷺ-: يا أبا بكر ما رأيك في اثنين الله ثالثهما. وقال ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾. فقوله: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) يعني: هل أحد يقدر عليهما بأذية أو غير ذلك؟ والجواب: لا أحد يقدر، لأنه لا مانع لما أعطىٰ الله ولا معطي لما منع، ولا مذل لمن أعز ولا معز لمن أذل: وفي هذه القصة: دليل علي كمال توكل النبي -ﷺ- علي ربه، وأنه معتمد عليه، ومفوض إليه أمره، وهذا هو الشاهد من وضع هذا الحديث في باب اليقين والتوكل.

اليقين بحفظ الله:

عَنْ جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيَّ، أَخْبَرَ؛ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ يَوْمًا، فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ -ﷺ-، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- يَسْتَظِلُّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، قَالَ جَابِرٌ: « فَنِمْنَا بِهَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- يَدْعُونَا، فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ



جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفَهُ، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ، فَشَامَ السَّيْفَ، وَجَلَسَ، فَلَمْ يُعَاقِبْهُ النَّبِيُّ -ﷺ-، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ»(متفق عليه).

اليقين الكامل بصدق رسول الله -ﷺ- :

حينما انطلق رَسُولُ الله -ﷺ- وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ. بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ. بَخٍ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ الله، إِلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: « لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ، رَحِمَهُ الله » رواه مسلم .

بين اليقين والتجربة :

روىٰ عن حَيْوَة بن شريح التجيبي، الفقيه، المحدث، الزاهد، وهو من رواة الحديث الثقات، كان يأخذ عطاءه في السنة ستين ديناراً، فلا يفارق ذلك المكان الذي أخذ فيه العطاء حتىٰ يتصدق بها جميعـًا، فكان إذا جاء إلىٰ منزله وجد الستين ديناراً، تحت فراشة، فبلغ ذلك ابن عم له، فتصدق لعطائه جميعا أراد أن يفعل مثل حيوة، وجاء إلىٰ تحت فراشه فلم يجد شيئـًا! فذهب إلىٰ حيوة وقال: أنا تصدقت بكل عطائي، ولم أجد تحت فراشي شيئـًا، فقال له حيوة: أنا أعطيت ربي يقينـًا، وأنت أعطيته تجربة.



يعنى: أنت كنت تريد أن تجرب، وتختبر ربك، فتصدقت، لتنظر النتيجة، وأما أنا فأتصدق وأنا راسخ اليقين بما عند الله عَزَّوَجَلَّ من الجزاء والعوض. (سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٩١).

وهذا سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعبر بجنوده البحر كأنهم يمشون على الأرض!!!.

عندما أراد سعد بن أبى وقاص فتح المدائن وكانت على شاطئ دجلة في العراق وكان النهر في حالة فيضان، فلم يجد سعد بن أبى وقاص وسيلة لعبور البحر فكون كتيبة سميت كتيبة الأهوال وعبرت النهر وأخلت الشاطئ نسبيا من قوات الفرس لما عبرت كتيبة الأهوال النهر وكانوا ستمائة رجل، تبعهم سعد بن أبي وقاص بكامل الجيش وأمر جنده قائلاً: (قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فجعلوا يمشون على الماء كأنهم يمشون على الأرض حتى أن الفرس عندما رأوا هذا الموقف قالوا: ديوانا ديوانا أي: مجانين مجانين.

وعندما رأوهم لا يغرقون قالوا بالفارسية: والله إنكم لا تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنا!!!.

وهذا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشرب السم فلا يضره عندما فتح خالد بن الوليد الحيرة في العراق، آتاه رجل ليفاوضه ومعه السم، فرآه خالد فقال له: ما هذا؟ قال: سم عقرب قال خالد: ناولنيه، فأعطاه الرجل السم، ثم سكب خالد السم على يده وقال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم فشرب السم ولم يضره! فذهب الرجل بسرعة إلى قومه يقول لهم: يا قوم لقد أتيتكم من عند رجل أخشى أن تضعوا السيوف فيه ولا يموت!.



وهذا الحجاج بن يوسف والحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما دخل إلىٰ الحجاج وكان قد طلبه وأحضر السيف وهو بانتظاره ولما دخل تلفظ بكلمات وهو بالباب فانقلب الحجاج وأجلسه بجنبه وأمر بإكرامه وقال له يا سلطان العلماء فعجب الناس لأمره وكان الحاجب قد لاحظ تحرك شفتيه فلما خرج قال أسألك بالله ماذا قلت عند دخولك قال الحسن: «اللهم يا ولي نعمتي وملاذي في دعوتي اجعل غضبه ونقمته علي برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً و سلاماً علىٰ إبراهيم».

وهذا حاتم الأصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان شيخا كبيرا له بنات فلم يستطع تركهن والذهاب إلىٰ الحج فأشارت عليه ابنته الكبرىٰ أن يحج و يوكل أمرهم إلىٰ الله فهو لن يضيعهم، فأخذ بنصيحتها وذهب، فلما أمسىٰ المساء أمسىٰ إخوتها يتضاغون عند رجله من الجوع، فتوسلت إلىٰ الله ألا يفضحها فإذا بملك يمر ببيتهم وقد بلغ العطش منه مبلغا عظيما فطلب الجنود له ماءا فشرب ثم نظر إلىٰ بيتهم و عرف ما بهم من فقر وحاجة فأعطاهم سترة من المال فقالت البنت المؤمنة: هذا عبد نظر إلينا فاغتنينا فكيف بنظر الرحمن الرحيم إلينا.

وهذا الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما دخل عبد الله بن علي العباسي دمشق قتل في ساعة واحدة ٣٦ ألف من المسلمين وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الجامع الكبير ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضني أحد؟؟ قالوا: لا قال: هل ترون أحدا سوف يعترض علي؟ قالوا: إن كان فالأوزاعي وهو محدث فحل أمير المؤمنين في الحديث أبو عمرو وكان زاهدا عابدا قال: تعالوا به فذهب الجنود للأوزاعي فما تحرك من مكانه قالوا: يريدك عبد الله بن علي قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) انتظروني قليلا فذهب فاغتسل ولبس أكفانه تحت الثياب لأنه يعرف أن المسألة موت أحمر وقتل ودمار ثم قال لنفسه: الآن آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق لا تخشىٰ



في الله لومة لائم فدخل علىٰ هذا السلطان الجبار قال: الأوزاعي: فدخلت فإذا أساطين من الجنود صفان قد سلوا السيوف فدخلت من تحت السيوف حتىٰ بلغت إليه وقد جلس علىٰ السرير وبيده خيزران وقد انعقد جبينه عقدة من الغضب قال: فلما رأيته والله الذي لا إله إلا هو كأنه أمامي ذباب (حسبنا الله ونعم الوكيل) قال: فما تذكرت أحدا لا أهلا ولا مالا ولا زوجة وإنما تذكرت عرش الرحمن إذا برز للناس يوم الحساب قال: يا أوزاعي ما تقول: في الدماء التي أرقناها وأهرقناها قال الأوزاعي: حدثنا فلان عن فلان حدثنا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -ﷺ- قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) فإن كان من قتلهم من هؤلاء فقد أصبت وإن لم يكونوا منهم فدمائهم في عنقك قال: فنكث بالخيزران ورفعت عمامتي انتظر السيف ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونه عن الدم قال: وما رأيك في الأموال؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلالا فحساب وان كانت حراما فعقاب قال: خذ هذه البدرة وهي كيس مملوء من الذهب قال الأوزاعي: لا أريد المال قال: فغمزني أحد الوزراء يعني خذها لأنه يريد أدنىٰ علة ليقتل قال: فأخذ الكيس ووزعه علىٰ الجنود حتىٰ بقي الكيس فارغا فرمىٰ به وخرج فلما خرج قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قلناها يوم دخلنا وقلناها يوم خرجنا ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾[آل عمران: ١٧٤] ويقال إن عبد الله بن علي العباسي ذلك السلطان المتجبر يقول كلما مر بقبر الأوزاعي والله لا أخاف في هذه الدنيا من رجل كهذا الرجل فإني كلما رأيته يتخيل لي أني أمام أسد فسبحان الله الأوزاعي رآه كالذباب وهو يرىٰ الأوزاعي كالأسد فانظر لتلك عزة والتوكل.





حاجة الدعاة الى اليقين :

إذا كان الصبر له منزلته العُظمَىٰ في دعوة النبي -ﷺ- فإنَّ اليقين قرينُه في المنزلة، والأنبياء - عليهم السلام - لهم الحظّ الأوفر من ذلك، والذين خلفوا الأنبياء في تَبليغ الدعوة من العُلَماء الأئمَّة، لم يَحملُوا هذه الدعوة إلا بالصبر واليَقِين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة ٢٤]، وعندما بدَأ النبيُّ -ﷺ- دعوَتَه في قريش سلَك معه كِبارُ قومِه ووُجَهاؤهم محاولاتٍ عِدَّة لتثنيه عن دعوَته، فأغروه بكلِّ ما يَستَطِيعون من مال وجاه ومنصب، فما استَطاعُوا أن يصدُّوه عن دعوته بذلك، وتجلَّىٰ يَقِينُه بالله، وثقته بدعوَته عندما طلَب منه عمُّه أبو طالب أن يكفَّ عن دعوة قريش، فقال له: (والله، ما أنا بأقدر أن أدَعَ ما بُعِثتُ به من أنْ يُشعِلَ أحدُكم من هذه الشمس شعلةً من نار).

إنَّ اليقين في حياة الداعية هو رُوح دعوته، قال ابن القيِّم: «متىٰ وصَل اليقين إلىٰ القلب، امتَلأَ نورًا وإشراقًا، وانتَفَىٰ عنه كلُّ ريب وشكٍّ وسخط وهمٍّ وغمٍّ، فامتَلأَ محبَّةً لله وخوفًا منه، ورضا به وشكرًا له، وتوكُّلاً عليه وإنابة إليه».

ومَن قوي يقينه بالله، حصل له من الأنس بالدعوة ما لا يحصل لغيره، ومع اليقين تكون ثقة الداعيَة بالله وبنصره وتأييده، مهما طال الطريق، ومهما تكالبت الأعداء وأنفقوا أَموالهم وبذلوا أنفسهم في سبيل صدِّ الناس عن الدعوة، فإنَّ الله وعَد أولياءَه بنصره؛ فهو القائل- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وقال - تعالىٰ -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].



والثقة إنما تكون بعد بذْل المجهود، والنبيُّ -ﷺ- عندما هاجَر من مكَّة مع صاحبه أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بذَل ما في وُسعه من أسباب لتَضليل المشركين لئلاَّ يصلوا إليه، ولما لَحِقُوا به ووصَلُوا إلىٰ الغار، خشِيَ أبو بكر أن يَصِلُوا إلىٰ رسول الله -ﷺ- فقال له الرسول -ﷺ- في ذلك الموطن ما ذكره الله -عَزَّ وَجَلَّ - في سورة التوبة بقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة: ٤٠].

ومن الثِّقة واليَقِين يكون التسليم لحكم الله وقدره، والتسليم هو: «محض الصدِّيقيَّة، التي هي بعد درجة النبوَّة، وأكملُ الناس تسليمًا أكملهم صديقيَّة»؛ ولذلك كان الصدِّيق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أكثر الصحابة ثقةً بالله، ويقينًا به، فآمَن برسول الله -ﷺ- وصَدَّقه، وأنفَقَ مالَه كلَّه في سبيل الله، ووقَف موقِفَه العظيم بعد وَفاة رسول الله -ﷺ- فكان أوَّل المبشَّرين بالجنَّة، وأفضل هذه الأمَّة بعد رسولها -ﷺ- .

ولا يقف الأمرُ في دعوة غير المسلمين عند ثقة الدَّاعي بدعوته ويَقِينه بها؛ وإنما يَتطلَّب الأمر ثقةَ المدعوِّ بالداعي أيضًا، ولقد كانَتْ قريش كلُّها تَثِق برسول الله -ﷺ- قبلَ نبوَّته وبعدَها؛ فهو الذي ارتضَوْه لوضع الحجر الأسود عندما اختلَفُوا في وضعه، وهو الذي لقَّبوه بالأمين، وكانت ودائعُهم عندَه حتىٰ هجرته إلىٰ المدينة، فأبقىٰ عليَّ بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ليردَّ عليهم ودائعهم، ولم تنته ثقتهم به أبدًا حتىٰ مع حربهم له ووقوفهم في وجْه الدعوة؛ فإنهم كانوا في قَرارَةِ أنفسهم يعتَقِدون أنَّه صادقٌ، وأنَّه أمين، وأنَّه علىٰ الحق.



وممَّا يَشهَد لذلك قولُه - سُبحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقد ذكَر ابنُ جرير في تفسير هذه الآية هذه المحاورةَ التي جرَتْ بين اثنين من أشدِّ أعداء الدعوة؛ فقد لقي الأخنس بن شريق أبا جهل يوم بدرٍ فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس ها هنا غيري وغيرك؟ فقال له: والله، إنَّ محمدًا لصادق، وما كذب محمدٌ قطُّ.

فهذا أبو جهل، وهو أكبر خصوم الدعوة، أتَىٰ بعدَدٍ من المؤكِّدات علىٰ صدقه؛ من القَسَم، وحرف التأكيد «إن»، وحرف اللام، والجملة الاسميَّة، ولم يَكتَفِ بذلك؛ بل نفَىٰ عنه الكذبَ أيضًا، وهو ما يؤكِّد اعتقادَه الجازم بصدق رسول الله -ﷺ- ولكن صدَّه الكِبْر والعناد عن الإيمان؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

لقد كانَتْ ثقة المجتمع برسول الله -ﷺ- مبنيَّة علىٰ معرفة تامَّة بخُلقه العظيم، ومن معاملتهم له كانوا يرَوْنَه أصدقَ الناس وأبرَّهم، وأوفاهم وأوصَلَهم.

وكانت ثقة المجتمع بالنبي -ﷺ- من أكبر دَعائم دعوته، وكانت ثقة المدعوِّين به من أكبر الوسائل في إقناعهم وقبولهم للدعوة، وعندما تهتزُّ ثقة المدعوِّين بالداعِيَة أو تضعف، تكون استجابتهم له محدودة.

إنَّ الدعوة بلا يقين لا يحصل بها التَّمكِين، ولقد كان النبي -ﷺ- يُربِّي أصحابه علىٰ اليَقين؛ فقد روىٰ البخاري عن خبَّاب بن الأرتِّ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: أتيتُ النبيَّ -ﷺ- وهو مُتوسِّد بردةً وهو في ظلِّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شِدَّة، فقلت: يا رسول الله، ألاَ تدعو الله؟ فقعَد وهو محمرٌّ وجهُه، فقال: (لقد كان الرجل فيمَن قبلكم يُحفَر له في الأرض، فيجعل فيها، فيُجاء



بالمنشار، فيُوضَع علىٰ رأسه، فيشق اثنتين، وما يصدُّه ذلك عن دينه، ويمشَّط بأمشاط الحديد ما دون عِظامِه من لحم أو عصبٍ، وما يصدُّه ذلك عن دينه، واللهِ ليتمنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتىٰ يَسِير الرَّاكب منْ صنعاء إلىٰ حضرموت ما يَخافُ إلا الله والذئب علىٰ غنمه، ولكنَّكم تستَعجِلون).

بمثلِ هذا اليَقِين فتَح الله للمسلمين في صدر الإسلام قلوبَ الناس وبلادَهم، وهو وعدٌ من الله لكلِّ مَن كان حالُه مثلَ حال أولئك الأبرار الأطهار - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وعندما يُوقِن الدُّعاة والمدعوُّون بذلك تكون دعوة الله غالبة، ويكون نصرُه آتِيًا لا محالة، والله غالبٌ علىٰ أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يقين المنفقين بخلف رب العالمين:

علينا أن نعلم علم اليقين أن الصدقة لاتنقص المال وإنما تباركه وتزيده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

تكاثرت النصوص عن فضيلة الصدقة؛ قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠].

ومن كرم الله تعالىٰ وفضله أنه يرزقك المال، فإذا أنفقته في سبيله أخلفه الله عليك ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]، وهذا الخُلْف من الله تعالىٰ ورد عامًّا بقوله تعالىٰ: ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ ﴾، وقد يتنوَّع هذا الخُلْف، فيكون صحَّةً، أو مالًا، أو صَلاحًا، أو إصلاحًا، أو دفْعًا لبلاء، أو غير ذلك من أنواع الخُلْف، فكُنْ من ذلك علىٰ يقين تامٍّ، فهذا



اليقين سيدفعك بإذن الله تعالىٰ إلىٰ الإكثار من الصدقة في سبيل الله تعالىٰ؛ عن أبي الخير قال: سمعْت عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله -ﷺ-: (كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِه حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاس)، أو قال: (حَتَّىٰ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسَ)، قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئَه يوم، إلَّا تَصَدَّق بكعكة أو بفولة أو ببصلة[1].

إن من حقيقة الصدقة، أنك نقلت مالك من حساب الدنيا إلىٰ حساب الآخرة؛ لا كما قد يتوَهَّم بعضُ الناس أنه خرج منك إلىٰ غيرك، فهو ما زال لك، بل أصبح مُضاعفًا إلىٰ أضعاف كثيرة، فهو مُدَّخَرٌ لك، مخلوف عليك.

ورد في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله -ﷺ- قال: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، واعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وأَنَّ أَحَبَّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ أَدْوَمُها وإنْ قَلَّ)[2] .

إن الصدقة الدائمة - ولو كانت قليلة - فهي في مجموعها كثيرةٌ، فهي كالنقاط المجتمعة حتىٰ كانت سيلًا من الماء، ولا تستقل شيئًا من الصَّدَقة، فإن عدم الصَّدَقة أقلُّ من هذا القليل!

إن الصَّدَقة الخفيَّة هي إحدىٰ صفات من كانوا تحت ظِلِّ العرش، فاحرص علىٰ إخفائها؛ ولكن إن كان هناك مصلحة من إظهارها؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فكن من أهل الإخفاء، أو الإظهار كل بحسبه.

الصَّدَقة زكاة للمال، وزكاة للنفس، فهي طهارةٌ معنويةٌ للنفس،ونماء حسِّي للمال، وشعور بأحوال إخوانك المحتاجين، والجزاء من جنس العمل،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٧١) ١٧/ ٢٨٠، والبيهقي في الشعب برقم (٣٠٧٧) ٥/ ٤٩، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٥١٠) ٢/ ٨٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٦٤) ٨/ ٩٨، ومسلم في صحيحه برقم (٧٨٣) ١/ ٥٤١.



والصَّدَقة نفع للآخرين، وتنفيس لكربهم، وإدخال للسرور عليهم، وذلك يتطلَّب مِنَّا استحضارها - مهما كانت قليلة - ليعظُم أجرُها، ولربما سبق درهمٌ مئة ألف درهم.

إن لم يفتح عليك في باب الصَّدَقات، فكن سببًا في بعض صدقات المتصدِّقين، فلربما تمت صدقات كثيرة كنت أنت سببها، وكتب لك مثل أجورهم.

(مقترح) يحسن وضع صندوق لأهل بيتك، يكون مجالًا للصَّدَقة اليومية ولو بالقليل، ثم يُصرَف علىٰ الفقراء.

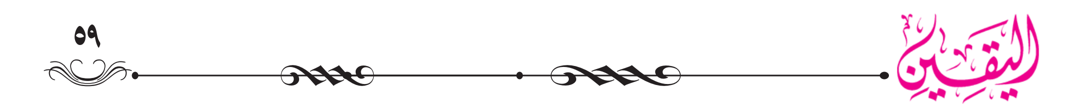
مثال ضربه النبي -ﷺ- للبخيل والمتصدق:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعـًا: «مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جُنتان من حديد من ثُدِيِّهما إلىٰ تَرَاقِيهما، فأمَّا المنفق فلا ينفق إلا سَبَغت -أو وَفَرَت- علىٰ جلده حتىٰ تخفي بنانه وتَعْفُو أثره، وأمَّا البخيل فلا يريد أن ينفق شيئـًا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع». [متفق عليه]

ضرب النبي -ﷺ- مثلاً للبخيل والمنفق، وصفهما برجلين علىٰ كل واحد منهما درع يستره ويقيه من الثدي إلىٰ الترقوة -وهي العظم الذي في أعلىٰ الصدر-، فأمَّا المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتىٰ تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته، وأمَّا البخيل فكرجل ضاق عليه درعه حتىٰ غُلت يده إلىٰ عنقه كلما أراد توسيعها اجتمعت ولزمت ترقوته الجنة الدرع تراقيهما :جمع ترقوة وهي العظم البارز أعلىٰ الصدر من رأس الكتف إلىٰ العنق. سبغت :امتددت وغطت. وفرت :كملت ونمت. بنانه :أصابعه. تعفو أثره :تمحو أثر مشيه. لزقت كل حلقة مكانها :التصقت وضاقت عليه







من فوائد الحديث:

* قيام التمثيل مقام الدليل علىٰ تفضيل المتصدق علىٰ البخيل.
* الصدقة تكفر الخطايا.
* بشارة المتصدق الكريم بحصول البركة والعون والستر والحفظ من البلاء بعون الله -تعالىٰ-.
* الكريم إذا هم بالصدقة انشرح لها صدره وطابت نفسه وعكسه البخيل.
* قوة اليقين بالله عين التوكل الحقيقي.

اليقين بالله المنافي للشكّ هو من تمام التوكّل عليه وحسن الثقة به، وهو من تَمام الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، الإيمان الذي لا يخالطه أيّ شك، وهو كذلك سكون القلب واطمئنانه عند العمل بعيداً عن وساوس الشيطان وإغراءات النفس، وهو من ثمرات الإيمان الصحيح بالله عَزَّوَجَلَّ.

يقين امرأة فجر عين زمزم:

الله أمرك بهذا اذهب فلن يضيعنا الله – قصة هاجر) عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها علىٰ سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتىٰ وضعهما عند البيت عند دوحة، فوق زمزم في أعلىٰ المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفىٰ إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتىٰ إذا كان





عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] - حتىٰ بلغ - ﴿يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧] وجعلت أمُّ إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتىٰ إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوىٰ، أو قال يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترىٰ أحدا فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتىٰ إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتىٰ جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترىٰ أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي -ﷺ-: «فذلك سعي الناس بينهما» فلما أشرفت علىٰ المروة سمعت صوتا، فقالت صه - تريد نفسها -، ثم تسمعت، فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال بجناحه، حتىٰ ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبي -ﷺ-: « يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء -، لكانت زمزم عينا معينا » قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتىٰ مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور علىٰ ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء،



فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي -ﷺ-: «فألفىٰ ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس» فنزلوا وأرسلوا إلىٰ أهليهم فنزلوا معهم، حتىٰ إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرىٰ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل علىٰ امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علىٰ الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت اللحم، قال فما شرابكم؟ قالت الماء.

قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي -ﷺ-: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه».

قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء،



قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا، وأشار إلىٰ أكمة مرتفعة علىٰ ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتىٰ إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال: فجعلا يبنيان حتىٰ يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أخرجه البخاري برقم ٣٣٦٥ .

(المنطق) ما يشد به الوسط.

(لتعفي أثرها) أي لتجره علىٰ الأرض وتخفي أثرها علىٰ سارة.

(دوحة) شجرة كبيرة.

(جرابا) ما يتخذ من الجلد لتوضع فيه الزوادة.

(قفىٰ) من التقفية وهي الإعراض والتولي يعني ولىٰ راجعا.

(الثنية) الطريق العالي في الجبل.

(الكلمات) الدعوات أو الجمل التي أنزلها الله تعالىٰ في كتابه علىٰ محمد -ﷺ- وتتمتها ﴿ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم – ٣٧] .

(بواد) هو مكة.



(المحرم) الذي يحرم التعرض له والتهاون به.

(أفئدة) جمع فؤاد وهو القلب والمراد الناس أصحاب القلوب.

(تهوي إليهم) تقصدهم وتسكن إليهم.

(يتلوىٰ) يتمرغ وينقلب ظهرا لبطن ويمينا وشمالا.

(يتلبط) يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض وقيل يحرك لسانه وشفتيه كأنه يموت.

(درعها) قميصها.

(سعت) هرولت وأسرعت في خطاها.

(المجهود) الذي أصابه الجهد وهو الأمر الشاق.

(فذلك سعي الناس بينهما) أي سبب مشروعية السعي بين الصفا والمروة لإحياء تلك الذكرىٰ في النفوس لتنشط في الالتجاء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في كل حال.

(صه) أي قالت لنفسها اسكتي.

(غواث) من الغوث أي إن كان غوث فأغثني.

(بالملك) أي جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

(فبحث بعقبه) البحث طلب الشيء في التراب وكأنه حفر بطرف رجله.

(تحوضه) يجعله كالحوض لئلا يذهب الماء.

(تقول بيدها) هو حكاية لفعلها.

(عائفا) هو الذي يتردد علىٰ الماء ويحوم ولا يمضي عنه والعائف أيضا الرجل الذي يعرف مواضع الماء من الأرض.

(لعهدنا) لمعرفتنا صلتنا.

(جريا) رسولاً ويطلق علىٰ الوكيل والأجير وسمي بذلك لأنه يجري مجرىٰ مرسله أو لأنه يجري مسرع في حوائجه.

(فألفىٰ ذلك) فوجد الجرهمي.

(الأنس) المؤانسة بالناس.

(شب الغلام) نشأ إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ .

(أنفسهم) رغبهم فيه وفي مصاهرته.

(يطالع تركته) يتفقد حال ما تركه هناك والتركة بمعنىٰ المتروكة والمراد بها أهله والمطالعة النظر في الأمور.

(يبتغي لنا) يطل لنا الرزق وكان عيشه من الصيد.

(هيئتهم) حالتهم.

(عتبة بابه) هي أسكفة الباب وهي هنا كناية عن المرأة.

(لا يخلو عليهما أحد) لا يعتمد أحد في طعامه علىٰ اللحم والماء فقط.

(لم يوافقاه) أي لا يوافقان مزاجه ويشتكي من بطنه ونحو ذلك وأما في مكة فإن المداومة علىٰ أكلها لا تحدث شيئا وهذا من بركة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ .

ليكن شعارنا اذن لن يضيعنا :

إنَّ المسلم في وقتِ الأزمات، واشتداد وطْأَتها عليه، وتكالُب أعدائه عليه، والتضييق عليه في دعوته، إنه في هذا الوقت بالذات بحاجة إلىٰ شحنة كبيرة وجبَّارة من الثِّقة بالله - عَزَّوَجَلَّ - في نَصْر دينه وأوليائه المؤمنين؛ حتىٰ يستطيعَ أن يكون سَدًّا وحاجزًا منيعًا أمام سَيْل الأزمات، فلا ينجرف مع التيار مَهْمَا كانتْ قوَّتُه، وخاصَّة إذا استشعر أنَّ هذا التكالُب ما هو إلا سُنَّة من سُنن التدافُع الكونيَّة والمكابَدة في هذه الدنيا؛ لأن الأرحام لا تزال تدفعُ بشياطين الإنس ممن جعَل نفسَه مشروعًا لمحاربة هذه الدعوة والصَّدِّ عنها.

وقد علَّمنا القرآن الكريم أن اشتداد الأزمات ووصولَها إلىٰ ذِروتها، هو بداية زوالها وزوال مَن يقف وراءها، وأنَّ النصر والتمكين للمؤمنين، ومَن



تَتَبَّع قَصص الأنبياء في القرآن عَلِم مصداق هذا القول؛ لأنَّ النصرَ والتمكين مِنْحة ربَّانيَّة، وعَطيَّة إلهيَّة، لا تتنزَّل إلا بعد اشتداد المكابدة والمحاربة؛ يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكما تكون الشدَّة ينزل من النصر مثلُها؛ ولهذا قال - تعالىٰ-: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

اليقين بالله في وجه المتغيرات وفتن الزمان :

لطالما قرأت عبارة « يقيني بالله يقيني» ، وقد كتبت بخط جميل ربما لا يدري أكثر من كتبها ولا معظم من قرأها ما دار بين النحويين من موضع يقيني الثانية من الإعراب هل هي تأكيد للأولىٰ أم تعني يحميني والصحيح أنها من باب الجناس في علم البلاغة .

العبارة الأولىٰ اسم والثانية فعل مضارع .

المعنىٰ يعني وايماني بالله سبب في حفظي وحمايتي .

علىٰ أي حال عبارة تبعث في نفس - من تأمل فيها - شعورا محببا. ما أجمل أن تكون هذه العبارة شعارا نضعه في كل مكان تتجه إليه أبصارانا وأجمل منه أن نسمع صوت قلوبنا وهو يردد هذه الكلمة يقيني بالله يقيني. في ظل عالم ملئ بالدماء والأشلاء أنىٰ وليت بصرك رأيت ما يسوؤك ويحزنك نحتاج أن نقتبس من نور سُنَّة النبي -ﷺ- ما يجدد في نفوسنا اليقين ويبث في أرواحنا التفاؤل ولنعلم ويعلم الأولون والآخرون أن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. اقرأ أيضا: القرآن الكريم المعجزة الخالدة كلا إن الإنسان ليطغىٰ مرت علىٰ النبي -ﷺ- وعلىٰ أصحابه فترات من المحن والآلآم تقض المضاجع وتضيق بها النفوس حتىٰ شكىٰ الصحابة رضوان الله عليهم للنبي -ﷺ- ما أصابهم وطلبوا منه الدعاء بأن يعجل الله الفرج وينزل النصر من عنده والنبي -ﷺ- يشعر بما يشعرون ولكنه ممتلئ اليقين بأن نصر



الله آت لاريب فيه، عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قال: «شكونا إلىٰ رسول الله -ﷺ- ، وهو متوسد بردة له في ظلَ الكَعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ ، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب علىٰ غنمه، ولكنكم تستعجلون».[صحيح البخاري ٣٦١٢] .

لم تكن هذه الكلمات التي خرجت من النبي -ﷺ- تسكينا لنفوس قاربت علىٰ الملل أو تبشيرا بوهم لن يأتي لا في المستقبل القريب أو البعيد بل كانت كلمات ملأها حسن الظن بالله تعالىٰ والله عَزَّوَجَلَّ عند ظن عبده به البعض يطلق الوعود في مستقبل أفضل وغد أسعد لكن يمر الغد وبعد الغد ولا تجد إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

انتقل النبي -ﷺ- من مكة لينعم بمجتمع يتمكن فيه من إقامة شعائر الله التي طالما حوربت وانتقل معه يقينه في ربه تبارك وتعالىٰ، عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي -ﷺ- إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال «فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد -، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرىٰ»، قلت: كسرىٰ بن هرمز؟ قال: « كسرىٰ بن هرمز، ولئن طالت بك لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه.. الحديث أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦) .

وفي أوقات الشدائد والحروب تنتشر الشائعات انتشار النار في الهشيم

ويعمل الأعداء علىٰ ضرب الروح المعنوية فالهزيمة النفسية أجدىٰ من الهزيمة الحربية وأيسر وأقل كلفة

اجتمعت جيوش الشرك علىٰ قلع الإسلام من جذوره في غزوة الأحزاب وبادر النبي -ﷺ- إلىٰ حماية بيضة الإسلام وعاصمته فبدأ بحفر الخندق قبل أن تدهمهم قوات أعدائهم وفي أثناء هذا الحفر اعترضت صخرةٍ سلمان الفارسي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وعجز عن كسرها ،فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ -ﷺ- لأَصْحَابِهِ: فقال نبي الله -ﷺ- لأصحابه: دعوني فأكون أول من ضربها» فقال: «بسم الله» فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال: «الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة» ثم ضرب بأخرىٰ فوقعت فلقة فقال: «الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة» فقال عندها المنافقون: نحن نخندق علىٰ أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم. عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أخرجه النسائي في (السُّنَن الكبرىٰ) (٨٨٥٨)، والروياني في (المسند) (٤١٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (٣/ ٤٢١) .

وقد حسن إسناد القصة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري .

وانقسم الناس إلىٰ مؤمن ومنافق فأما المنافقون فقد قال الله عنهم ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[الأحزاب: ١٢] وأما المؤمنون فيقينهم في ربهم تبارك وتعالىٰ وإيمانهم بالنبي -ﷺ- يجعلهم يصدقون هذه الوعود إن كلام النبي -ﷺ- لخباب وكلامه لعدي وكلامه للمؤمنين يوم الخندق كلها منبعه واحد هو حسن الظن بالله تعالىٰ .

سوء الظن مجلبة للضنك: أما سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ فضرره محقق علىٰ العبد في دينه ودنياه وآخرته يعيش حياته في قلق ورعب مفتقدا لمن يحميه فالدنيا قامت علىٰ التحول. لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان ، وصديق اليوم ربما كان ألد العداء الغد والمال الذي يغني والجاه



الذي يحمي يذهب ويأتي وتلك الأيام نداولها بين الناس ومن يقلب صفحات التاريخ يجد أثرياء قد افتقروا وصاروا يتسولون اللقمة وأصحاب جاه زال جاههم بل انقلب وبالا عليهم أما في الآخرة فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفتح: ٦] حُسن الظن وحُسن العمل: علىٰ أن حُسن الظن يجب أن يصاحبه حسن العمل فيحدد المسلم هدفه لأن الوعي قبل السعي ويبصر طريقه ويسير مُستعينا بالله عَزَّوَجَلَّ متوكلا عليه مدركا أن الساعي للمجد سيلقىٰ عقبات وعقبات وأن المجد طريقه شاق كما قيل لن تبلغ المجد حتىٰ تلعق الصبر فإن أصاب هدفه فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإن كانت الأخرىٰ فعلىٰ المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح وعليه أن يقيم تجربته ويحصر مواضع الخطأ ليتجنبها وتحديد الهدف الصحيح وسلوك السبل لها إذا قصد بذلك وجه الله عبادة في ميزان أعمال صاحبها. يقيني بالله يقيني من الآثار المدمرة للفشل والآثار المدمرة للنجاح من غرور ونسبة الفضل إلىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ مولدات اليقين: وهذا اليقين ينبغي المحافظة عليه ورعايته بدوام التأمل في أقدار الله تعالىٰ المبثوثة في تاريخ الإنسانية، وبتغذيته بالتأمل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وما فيه من بشريات لمن يحسنون القول والعمل وبالمداومة علىٰ الطاعة فإن الإيمان يزيد وينقص، وكذلك اليقين وبالبعد عن المحبطين وأصحاب النظرة السوداوية الذين لا يرون إلا نصف الكوب الفارغ وبإحسان قراءة الواقع فرغم ما فيه من الالآم ومآسي إلا أن فيه تربية وتمحيص ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤١] ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الأنفال: ٣٧] وليخرج لنا خير المعادن الذين وصفهم الله تعالىٰ بقوله ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧] والأمم مهما أصابها من جراحات وخسائر لا تموت. وأخيرا نقول: القلب الممتلئ بالإيمان العامر باليقين يُقنع من حوله بقرب فرج الله وإن خالفه في المعتقد والتوجه، قال عثمان بن طلحة :«كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل (النبي -ﷺ-) يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه، ونلت منه وحلم عني ثم قال: يا عثمان لعلك سترىٰ هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت!!،فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت ،فقال رسول الله -ﷺ-: بل عمرت وعزت يومئذ، ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلىٰ ما قال« [الاكتفاء]. وعثمان كان مُشركا ولم يكن بيد النبي -ﷺ- سلطان أو صولجان حتىٰ تقع كلمته من عثمان موقعا ولكنه اليقين الذي يسري من نفس لنفس ومن روح لروح حتىٰ تراه العين واقعًا ملموسًا.

ويجب علىٰ المسلم الرضا ... والتسليم والاستبشار
لنا بالله آمالٌ وسلوىٰ ... وعند الله ما خاب الرجاءُ
إذا اشتدت رياحُ اليأْس فينا ... سيعقبُ ضيقَ شدتِها الرخاءُ
أمانينا لها ربٌّ كريمٌ ... إذا أعطىٰ سيدهشُنا العطاءُ

اليقين بنصر الامة:

عن أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول آلله -ﷺ- بشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالتَّيسير، والسَّناءِ والرِّفعة بالدِّين، والتَّمكين في البلادِ، والنَّصر، فمَن عمِلَ منهُم بعملِ الآخرةِ للدُّنيا، فليسَ لهُ في الآخرةِ مِن نصيبٍ: أخرَجه أحمد (٢١٢٥٨)،



والحاكم (٧٨٦٢)، والبيهقي في (شعب الإيمان) .

يجب اقتلاع أشجار القنوط الخبيثة ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾[يوسف: ٨٧]. والحق أن في السنة النبوية الكثير والكثير من الأحاديث المبشرة بنصر الإسلام والتمكين له، وكلها أحاديث صحيحة صريحة .

كانَ النبيُّ -ﷺ- يُبَشِّرُ أُمَّتَه بخَيرَي الدُّنيا والآخرةِ إذا ما التَزمتْ دِينَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ؛ فإنْ بَعُدتْ عنْ مَنهجِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لم تَتحَقَّقْ لها تلك البُشرىٰ.

في هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ -ﷺ-: «بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ» الإسلاميَّةَ التي استَجابَتْ لأمْرِ رَبِّها، فالمُرادُ: أُمَّةُ الإجابةِ، وليس أُمَّةَ الدَّعوةِ، «بالسَّناءِ»، أي: بارتِفاعِ المَنزِلةِ والقَدْرِ، «والدِّينِ» التَّمكينِ للدِّينِ بَعدَ العُسرةِ، «والرِّفعةِ»، وهي العُلوُّ في الدَّارَيْنِ؛ الدُّنيا والآخرةِ، «والنَّصرِ» علىٰ الأعداءِ، «والتَّمكينِ في الأرضِ»، بفَتحِ البِلادِ ودُخولِ الناسِ في دِينِ اللهِ أفواجًا، وتأسيسِ الدَّولةِ علىٰ مِنهاجِ النُّبُوَّةِ، «فمَن عَمِلَ منهم عَمَلَ الآخرةِ للدُّنيا» بأنْ جَعَلَ عَمَلَه الأُخرَويَّ وَسيلةً إلىٰ تَحصيلِ مَنافعِ الدُّنيا، «لم يَكُنْ له في الآخِرةِ مِن نَصيبٍ»؛ لِأنَّه لم يَعمَلْ لها، وهذا مِنَ الوَعيدِ علىٰ العَمَلِ لِغَيرِ اللهِ.

وفي الحَديثِ: أنَّ الإخلاصَ في العَمَلِ شَرطٌ لِقَبولِه عندَ اللهِ.

وفيه: تَحذيرٌ مِنَ الرِّياءِ واتِّخاذِ أعمالِ الآخِرةِ لِتَحصيلِ الدُّنيا فَقَطْ.

من بشائر النصر والمستقبل الجميل.

عن تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول آلله -ﷺ- : (ليبلغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدر ولا وبر إلا أدخله اللهُ هذا الدينَ بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليلٍ عزًّا يعزُّ اللهُ به الإسلامَ وأهلَه وذلًّا يذلُّ اللهُ به الكفرَ ، وكان تَميمٌ الداريُّ يقولُ عرفت ذلك في أهلِ بيتِي لقد أصاب مَن أسلمَ



منهم الخيرَ والشرفَ والعزَّ ولقد أصاب مَن كان منهم كافرًا الذلَّ والصغَارَ والجزيةَ) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧) واللفظ له، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار) (٦١٥٥) مختصراً، والطبراني (٢/ ٥٨) (١٢٨٠)

اليقين في بطاقة أدبية:

وَفينا رَســولُ اللَهِ يَتلو كِتابَهُ ... إِذا انشَقَّ مَعروفٌ مِنَ الصُبحِ ساطِعُ

أَرانا الهُدىٰ بَعدَ العَمىٰ فَقُلوبُنا ... بِـهِ موقِناتٌ أَنَّ ما قـالَ واقِـعُ

يَبيتُ يُجافي جَنبَهُ عَن فِراشِهِ ... إِذا اِستُثقِلَت بِالكافِرينَ المَضاجِعُ

وَأَعلَمُ عِلماً لَيسَ بِالظَنِّ أَنَّني ... إِلىٰ اللَهِ مَحشورٌ هُناكَ وَراجِـعُ

شعر عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح البخاري برقم ١١٥٥ .

اللهم ارزقنا اليقين وحُسن الظن بك، وثبّت رجاءك في قلوبنا حتّىٰ لا نرجو سواك ولا نلجأ إلا إليك يا أرحم الراحمين ، أنت حسبنا ونعم الوكيل، لاحول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

اللَّهُم لَكَ أَسْلَمْتُ وبكَ آمنْتُ، وعليكَ توَكَّلْتُ، وإلَيكَ أَنَبْتُ، وبكَ خاصَمْتُ. اللَّهمَّ أعُوذُ بعِزَّتِكَ، لا إلَه إلاَّ أنْتَ أنْ تُضلَّني أنت الْحيُّ الَّذي لاَ تمُوتُ، وَالْجنُّ وَالإِنْسُ يمُوتُونَ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

صدق الله وكذب بطن أخيك :

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قال جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ النبيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقالَ: إنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ فَقالَ رَسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْقِه عَسَلًا فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقالَ: إنِّي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقالَ له ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعَةَ فَقالَ: اسْقِهِ عَسَلًا فَقالَ: لقَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقالَ رَسولُ



اللهِ -ﷺ-: صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ فَسَقَاهُ فَبَرَأَ) .

معاني الكلمات :

يشتكي بطنه :تألّم ممّا به من مرض.

برأ :شُفِي.

جاء رجل إلىٰ النبي -ﷺ- فأخبره بأن أخاه يتألم من مرض في بطنه، وهذا المرض هو الإسهال، كما اتضح من روايات أخرىٰ للحديث، فأمره النبي -ﷺ- أن يسقي أخاه عسلا، فسقاه فلم يُشف، ثم أتىٰ النبي -ﷺ- فأخبره، فأمره أن يسقيه عسلا مرة أخرىٰ، فسقاه فلم يُشف، ثم أتىٰ النبي -ﷺ- فأخبره، فأمره أن يسقيه عسلا مرة ثالثة، فسقاه فلم يُشف، فأتىٰ النبي -ﷺ- فأخبره، فقال -ﷺ-: «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا» ولقد بلغ من يقين النبي -ﷺ- أن يقول ذلك

فقال -ﷺ-: «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا» وهذا فيه احتمالان: أحدهما: أن يكون النبي -ﷺ- أخبر عن غيب أطلعه الله عليه، وأعلمه بالوحي أن شفاء ذلك من العسل، فكرر عليه الأمر بسقي العسل ليظهر ما وعد به. والثاني: أن تكون الإشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ ﴾ ويكون قد علم أن ذلك النوع من المرض يشفيه العسل. فلما أمره في المرة الرابعة أن يسقيه عسلا، ذهب الرجل فسقىٰ أخاه عسلا فشُفي بإذن الله تعالىٰ. ولا يلزم حصول الشفاء به لكل مرض في كل زمن وبأي نوع من أنواع العسل، لكن (لكل داء دواء إذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله) كما قال -ﷺ-، رواه مسلم (٤/ ١٧٢٩، ح٢٢٠٤) .

وفي الحَديثِ: الأخذُ بالأسبابِ والسُّبُلِ المؤدِّيةِ إلىٰ الشِّفاءِ مِن الأمراضِ.

وفيه: لُزومُ تَصديقِ كلِّ ما أخبَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ



داء ودواء ظاهرة ضعف الإيمان :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول آلله -ﷺ- : (إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ ، فاسألوا الله أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم) أخرجه الطبراني (١٤/ ٧٠) (١٤٦٦٨)، وصححه الألباني .

معاني الفاظ الحديث :

يَخلق: يبلىٰ ويقدم.

جوف: قلب.

الثوب الخلق: البالي المقطع.

الشرح والتوضيح :

الإيمانُ يَزيدُ بالطاعاتِ ويَنْقُصُ بالمَعاصي، وعلىٰ المُؤمِنِ أنْ يَحرِصَ علىٰ تجديدِ إيمانِه وزِيادتِه، كما يُرشِدُ إليه هذا الحديثُ الشريفُ

إن الإيمان ليبلىٰ ويَضْعف في قلب المسلم، ويكون ذلك بسبب الفتور في العبادة أو ارتكاب المعاصي وانغماس النفس في شهواتها، فالإيمان يبلىٰ مثل الثوب الجديد الذي يبلىٰ بطول استخدامه، فأخبرنا النبي -ﷺ- أن نسأل الله تعالىٰ أن يجدِّد إيماننا بالدعاء والعمل الصالح والقيام بالفرائض وأعمال التطوع وكثرة الذكر والاستغفار، وأن يزيد إيماننا،

فوائد الحديث :

الحث علىٰ سؤال الله الثبات وتجديد الإيمان في القلب.

الإيمان يزيد وينقص.

ضرب الأمثال للتقريب والتوضيح.



من يقين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

عدي بن حاتم الطائي نموذجا

قال عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بيْنَا أنَا عنْدَ النَّبيِّ -ﷺ- ، إذْ أتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إلَيْه الفَاقَةَ، ثُمَّ أتَاهُ آخرُ فَشَكَا إلَيْه قَطْعَ السَّبيل، فَقَالَ: يا عَديُّ، هلْ رَأَيْتَ الحيرَةَ؟ قُلتُ: لَمْ أرَهَا، وقدْ أُنْبئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعينَةَ تَرْتَحل منَ الحيرَة حتَّىٰ تَطُوف بالكَعْبَة، لا تَخَافُ أحَدًا إلَّا الله -قُلتُ فيما بَيْني وبيْنَ نَفْسي: فأيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذينَ قدْ سَعَّرُوا البلَادَ؟!- ولَئنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كسْرَىٰ، قُلتُ: كسْرَىٰ بن هُرْمُزَ؟ قَالَ: كسْرَىٰ بن هُرْمُزَ، ولَئنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرجُ ملْءَ كَفّه من ذَهَب أوْ فضَّة، يَطْلُبُ مَن يَقْبَلُهُ منه، فلا يَجدُ أحَدًا يَقْبَلُه منه، ولَيَلْقَيَنَّ اللهَ أحَدُكُمْ يومَ يَلْقَاهُ، ولَيس بيْنَهُ وبيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له، فَلَيَقُولَنَّ له: ألَمْ أبْعَثْ إلَيْكَ رَسولًا فيُبَلِّغَكَ؟ فيَقولُ: بَلَىٰ، فيَقولُ: ألَمْ أُعْطكَ مَالًا وأُفْضلْ عَلَيْكَ؟ فيَقولُ: بَلَىٰ، فَيَنْظُرُ عن يَمينه فلا يَرَىٰ إلَّا جَهَنَّمَ، ويَنْظُرُ عن يَسَاره فلا يَرَىٰ إلَّا جَهَنَّمَ. قَالَ عَديٌّ: سَمعْتُ النبيَّ -ﷺ- يقولُ: اتَّقُوا النَّارَ ولو بشَقَّة تَمْرَة، فمَن لَمْ يَجدْ شقَّةَ تَمْرَة فبكَلمَة طَيِّبَة. قَالَ عَديٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعينَةَ تَرْتَحلُ منَ الحيرَة حتَّىٰ تَطُوفَ بالكَعْبَة، لا تَخَافُ إلَّا اللهَ، وكُنْتُ فيمَن افْتَتَحَ كُنُوزَ كسْرَىٰ بن هُرْمُزَ، ولَئنْ طَالَتْ بكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ ما قَالَ النَّبيُّ أبو القَاسم -ﷺ- : يُخْرجُ ملْءَ كَفّه.

أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦) .

الشرح

هذا الحَديث بَيانٌ لأُمور غَيبيَّة أخبرَ عنها النَّبيُّ -ﷺ- أنَّها ستَحدُثُ بعْدَه، فيَرْوي عَديُّ بنُ حاتمٍ الطَّائيُّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه بيْنَما هو عندَ النَّبيِّ



-ﷺ- ، إذ جاءه رَجلٌ، فشكَا إليه الفاقةَ، وهي الفَقرُ، ثمَّ جاءهُ رَجلٌ آخرُ فشَكا إليه -ﷺ- قَطْعَ الطَّريق من طائفة يَترَصَّدونَ في المَكامنِ لأخْذ المال، أو لغَير ذلك، وهنا سأل النَّبيُّ -ﷺ- عَديًّا، فقال: «يا عَديُّ، هلْ رَأَيتَ الحيرةَ؟» كانت بَلَدَ مُلوك العرَب الَّذين تحْتَ حُكم آل فارسَ، وكان مَلكُهم يومَئذ إياسَ بنَ قَبيصةَ الطَّائيَّ، وَليَها مِن تحْت يَدِ كِسْرىٰ بعْدَ قَتْلِ النُّعْمان بن المُنذر، فأجابَ عَديٌّ أنَّه لم يرَها، ولكنْ قدْ أُخبرَ عنها، فقال -ﷺ- : «فَإنْ طالَتْ بكَ حَياةٌ لتَرينَّ الظَّعينةَ» -وهي المَرأةُ في الهَودَج- «تَرتَحِلُ من الحيرةِ حتَّىٰ تَطوفَ بالكَعبةِ، لا تَخافُ أحدًا إلَّا الله»، وهذا كنايةٌ عن شدَّة الأَمن في الطُّرق والأسْفار، فقال عَديٌّ -فيما بيْنَه وبيْنَ نفْسه مُتعجِّبًا-: فأين دُعَّارُ طيِّءٍ؟! والدُّعَّارُ جَمعُ داعر، وهو الخَبيثُ المُفسدُ، والمُرادُ: قُطَّاعُ الطَّريق، أي: كيف تمُرُّ المَرأةُ علىٰ قُطَّاع الطَّريق مِن طيِّءٍ غيرَ خائفة وهم يَقطَعونَ الطَّريقَ علىٰ مَن مرَّ عليهم بغَير جَوارٍ وعَهدٍ من أحَدِ السَّادةِ ليَحميَه، وقدْ سعَّروا البلادَ فمَلَؤوها شَرًّا وفَسادًا؟! .

ثمَّ زادَه النَّبيُّ -ﷺ- منَ العَجائب فقال: «ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ لتُفتَحَنَّ كُنوزُ كِسْرىٰ»، فيَغنَمُها المُسلمونَ، فَسأَله عَديٌّ مُستَفهمًا: هل يَقصدُ كُنوزَ كِسْرىٰ بن هُرمُزَ؟ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: كِسْرىٰ بنُ هُرمُزَ مَلكُ الفُرسِ، وإنَّما قالَ عَديٌّ ذلك؛ لعَظَمة كِسْرىٰ وقتَئذٍ.

ثمَّ أخبَرَه النَّبيُّ -ﷺ- بما هو أعجَبُ مِن ذلك، فقال: «ولئنْ طالَتْ بك حَياةٌ لتَرينَّ الرَّجلَ يُخرِجُ مِلْءَ كَفِّه من ذهَبٍ أو فِضَّة، يَطلُبُ مَن يَقبَلُه منه، فلا يَجدُ أحدًا يَقبَلُه منه»؛ وذلك لعَدم وُجودِ الفُقراءِ حينَئذٍ، قيلَ: وذلك يكونُ في زَمن نُزولِ نَبيِّ الله عيسىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ في آخرِ الزَّمان.

ثمَّ أخبَرَه النَّبيُّ -ﷺ- عن بَعضٍ مِن أُمورِ الغَيبِ الَّتي سَتقَعُ يومَ القيامة، فقال: «وليَلقَيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلْقاهُ في القيامةِ وليس بيْنَه وبيْنه تَرجُمانٌ يُترجِمُ

له»، أي: ليس بيْنه وبيْن الله سُبحانه واسطةٌ، والتَّرجُمانُ هو ناقلُ الكَلام مِن لُغةٍ إلىٰ لُغة أُخرىٰ، «فيَقولَنَّ: ألَمْ أبعَثْ إليكَ رَسولًا فيُبلِّغَكَ» أوامري ونَواهيَّ؟ فيَقولُ العبدُ موافقًا: «بَلىٰ يا ربِّ، فيَقولُ جلَّ وعَلا: ألَمْ أُعطِكَ مالًا وأُفضِلْ عليكَ؟» منَ الإفْضال، أي: أُحسِنْ إليكَ، أي: أعْطيتُكَ المالَ ومكَّنتُكَ مِن إنْفاقه والاستِمْتاع به، فيَقولُ مُوافِقًا علىٰ صحَّة كَلام ربِّه: «بَلىٰ يا ربِّ»، ثُمَّ يَنظُرُ الرَّجلُ عن يَمينِه فلا يَرىٰ إلَّا جهنَّمَ، ويَنظُرُ عَن يَساره، فلا يَرىٰ إلَّا جَهنَّمَ؛ لارتِكابه السَّيِّئاتِ، والظَّاهرُ أنَّ هذا كنايَةٌ عن الإحاطَة، وأنَّ الخَلاصَ منها ليس إلَّا بالمُرور عليها، كما قال تعالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

ثمَّ أمَرَ النَّبيُّ -ﷺ- المسلمَ أنْ يَجعَلَ بيْنه وبيْن النَّار حاجزًا منَ الصَّدَقة، ولو أنْ يَتصدَّقَ بنصف تَمرة، فإنْ لم يَجدْ ما يَتصدَّقُ به، فلْيَتصدَّقْ بكَلمة طيِّبة تَطيبُ بها النَّفْسُ، وفيها تَطْييبٌ لقُلوب النَّاس، وهذا يدُلُّ علىٰ أنَّ الكَلمةَ الطَّيِّبةَ صَدَقةٌ، يُتَّقىٰ بها النَّارُ، كما أنَّ الكَلمةَ الخَبيثةَ تُوجبُ النَّارَ؛ فعلىٰ المُسلم ألَّا يَحتقِرَ من الصَّدَقةِ شيئًا، ولو كان قَليلًا؛ فإنَّه يَنفَعُ المُتصدِّقَ، ويَنفَعُ المُتصَدَّقَ عليه.

ثمَّ أخبَرَ عَديٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه رَأىٰ الظَّعينةَ تَرتحِلُ من الحِيرةِ حتَّىٰ تَطوفَ بالكَعبةِ، لا تَخافُ إلَّا اللهَ، وأنَّه كان فيمَن افتَتَحَ كُنوزَ كِسْرىٰ بنِ هُرمُزَ، وهو تَأكيدٌ علىٰ ما صدق ما أخبَرَه به النَّبيُّ -ﷺ- .

وأخبَرَ عَديُّ بنُ حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَن حَولَه: لئنْ طالَتْ بكمْ حَياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النَّبيُّ -ﷺ- أبو القاسم، ممَّا لم يقَعْ بعدُ، وهو أنْ يَخرُجَ الرَّجلُ الغَنيُّ بمِلءِ كَفِّه مِن ذهَبٍ أو فضَّةٍ، فلا يَجِدُ مَن يَقبَلُه، وهذا مِن شدَّةِ إيمانِه بأنَّ ما



أخبرَ به النَّبيُّ -ﷺ- سَيقَعُ مهْما طال الزَّمانُ، حتَّىٰ وإنْ لم يَرَه هو.

وفي الحَديثِ: التَّرْغيبُ في المُبادَرةِ إلىٰ إخْراجِ الزَّكاة، وعَدم التَّباطؤ بها، والتَّحْذيرُ منَ التَّسْويفِ في إخْراجِها؛ لأنَّه قد يكُونُ التَّأخيرُ سَببًا في عَدمِ وُجودِ مَن يَقبَلُها.

وفيه: مُعجزةٌ ظاهِرةٌ مِن مُعجزاتِه -ﷺ- بإخْبارِه عن أُمورٍ غَيْبيَّةٍ.

وفيه: قَبولُ الصَّدَقةِ ولو قلَّتْ.

وفيه: تَركُ احتِقارِ القَليلِ مِن الصَّدَقةِ وغيرِها، وألَّا يَحقِرَ المسلمُ شَيئًا منَ المَعروفِ؛ قَولًا وفِعلًا، وإنْ قلَّ.

وفيه: أنَّهم كانوا يَشْكُونَ إلىٰ النَّبيِّ -ﷺ- ما يُواجِهُهم في حَياتِهم مِن مَصاعِبَ؛ لِما يَرجُونَ عندَه مِن الفَرَجِ.

وفيه: دَليلٌ علىٰ قُربِ النَّارِ مِن أهلِ المَوقِفِ.





فهرس











